الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مستويات الحجاج في الخطاب القرآني

سورة البقرة "التحرير والتنوير آنموذجا"

مذكرة مقدمة لإستكمال متطلبات شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللغة

من إعداد الطالبة: بطاش رقية

إشراف الدكتور: طاهر براهيمي

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

البقرة الآية 139

جدول الاختصارات

الكلمة	اختصارها
دون طبعة	د ، ط
دون تاريخ	د ، ت
تحقيق	تح
العدد	ع
مجلد	م
الجزء	ج
طبعة	ط
طبعة جديدة	ط، ج

الإهـــداء

بِسْـمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيـمِ

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل إسمه بكل افتخار والدي العزيز" **الطاهر**".

إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي أمي الحبيبة "**زخروفة**"

إلى من بهم اكبر وعليهم اعتمد، إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي إلى من بوجودهم إكتسبت قوة ومحبة لا حدود لها إلى من عرفت معهم معنى الحياة أخواتي العزيزات " أختي **ستي** وزوجها وأولادها **ليندة، وائل**. واخواتي **أمال، فاطمة، فضيلة، أسيا**. إلى من أرى التفاؤل بعينه والسعادة في ضحكته أخي **أيوب**، إلى شعلة الذكاء والنور إلى الوجه المفعم بالبراءة **عبد الحي**.

إلى الروح التي سكنت روحي إلى رمز الحب والقلب الناصع بالبياض عزيزي "**سليم**".

إلى توأم روحي ورفيقة دربي **عفاف**، إلى صاحبة القلب الطيب والنوايا الصادقة **عزة (فيشي)** ،إلى من رافقتني مند أن حملنا حقائب صغيرة ومعك سرت الدرب خطوة بخطوة **صفاء الدزيرية**.

إلى الأخوات اللواتي لم تلدهن أمي إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في الدروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أن لا أضيعهم صديقاتي: **رقية هاجر** ابنة خالتي، **فضيلة** التونسي، **فاطنة** (جيغوار)، **أميمة** (نووووووضوا)، **مليكة** وابنها عبد الرؤوف، **أميرة** الهاشمي(وردة في البستان)، **رقية** شلالي، **سالكة** الصابي، فدوى، **نوال** خلوفي، **فتيحة** قطاف، **زهرة** العطاشي، ومن سهلت لي العمل الإداري **أمينة**، وإلى كل **أساتذة قسم اللغة والأدب العربي**.

وشكـــرا.

ملخص:

الحجاج في الخطاب القرآني يعد مجالا واسعا وزخما، خاض فيه أغلب العلماء قديما وحديثا في مختلف المجالات، ويعتبر من أهم قضايا التداولية الذي حظيت به الدراسة، ولهذا اخترت أن يكون هذا البحث موسوما بـ: "**مستويات الحجاج في الخطاب القرآني سورة البقرة التحرير والتنوير أنموذجا**"حيث أشرت في المبحث النّظري إلى مفهوم الحجاج في الدرس الغربي والعربي، وتاريخه ومدارسه التي أسهمت في تطويره، كما تطرقت في المبحث التطبيقي إلى مستويين للحجاج: المستوى اللساني التداولي الذي خصص للبحث في الأفعال الكلامية والوسائل اللسانية لتحديد مقاصد خطاب القرآني ومدى تأثيرها على المتلقي، أما المستوى البلاغي الصوري فخصص للبحث في الصورة البيانية ومسالكها وكيفية تأدية الوظيفة الحجاجية، وهذا من خلال النصوص التفسيرية التي تتميز بالتحليل اللغوي والبلاغي عند محمد الطاهر ابن عاشور في "سورة البقرة" على وجه الخصوص لمعالجة أهم القضايا التداولية، وذلك نظرا لتميزها بطابع حجاجي بأدلة وبراهين داحضة للكفار والمعاندين، وهذا يدل على أن القرآن كلام حجاجي بمجمله دون نفي وظائفه لتحقيق الأغراض بين المتخاطبين، فهو يعد بذلك خطاب طافح بالأبعاد التداولية.

Résumé:

L’argumentation dans le discours coranique a un largement espace, ou il a joué la plupart des savants dans divers domaines, et l'une des questions délibératives plus importantes données à étudier.

Alors j’ai choisi cette recherche : " les niveaux d’ argumentation dans le discours coranique Surah AL Bakara modèle de la libération et l'illumination " comme je l'ai souligné dans la section théorique de la notion d’argumentation dans la leçon occidentale et arabe, et son histoire et ses écoles qui ont contribué à son développement, j’ai également abordé le sujet appliqué aux deux niveaux d’argumentation : niveau lingual délibérative qui est consacré à la recherche dans les actes et les moyens de linguistique verbaux pour déterminer les objectifs du discours coranique et son impact sur le récepteur.

ce qui concerne le niveau rhétorique, il est consacré pour la recherche dans les image de déclarations et ses sentiers et la façon d'exécuter la fonction d’argumentation, ce qui est par des textes explicatifs caractérisés par l'analyse linguistique et rhétorique lorsque Mohamed Tahar Ben Achour dans «Surah AL Bakara», en particulier pour aborder les questions délibératifs les plus importantes, compte tenu de l'excellence dans la nature d’arguments preuve et réfuter la preuve infidèles et tenaces, et cela montre que les mots du Coran dans son intégralité des preuves sans dédit ses fonctions aux tendances des inter lecteurs, il est donc dimensions plein à extraire les discours délibératif.

مقـــدمـــة

مقـــدمة

الحمد لله الذي تعبدنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة وحفظ ملّة نبيه الكريم و وصفيه الرؤوف من الإضاعة إلى قيامة الساعة، أشكره شكرا وأصلى على محمد رسوله المخصوص بمقام الشفاعة، وعلى آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه صلى الله عليه وسلم.

إن البحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه مجال واسع، لأنه يحتوي على أشمل وأكمل وأوسع الخطاب، فجاء رسالة من الله تعالى إلى العالمين كافة في كل زمان ومكان، فالخطاب القرآني خطاب عام من الله تعالى لإقناع عباده بفصاحته وأسلوبه البليغ، يعتبر مصدر استنباط الأحكام العقلية والمنطقية المبنية على نتائج صحيحة، حيث علم كافة الناس كيف يستخدمون عقولهم لمعرفة الحق من الباطل والحقائق المحيطة بهم، ولهذا تميزت آيات من القرآن الكريم بخصائص متعددة وهو وجه من وجوه الإعجاز البياني، ومن هـــذه الخصائص أسلـــوب "**الحجـــاج**" الذي يعد فعاليـــة خطابية، وممارسة فكرية يعتمدها المتكلم لتأثير على المتلقي وإقناعه بأدلة وبراهين داحضة ومنها قوله تعالى:﴿**الم تر إلى الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه أن آتاه الله الملك**﴾ **[البقرة 257]**. يقوم على الاستدلال والبرهنة لتحقيق المقاصد وإثبات الحقائق.

ومن هذا الانفتاح يقع الحجاج تحت اهتمام التداولية بشكل خاص، لما توليه من أهمية كبيرة لأقطاب العملية التواصلية، فاهتمت بالمتكلم ومقاصده، والظروف المحيطة به، وسياق الخطاب.

يعتبر الحجاج من أهم قضايا التداولية وأحد أهم أركانها الأساسية لدراسة اللغة من كل جوانبها، وهذا بفضل اهتمامات اللغويين والباحثين قديما وحديثا، حتى أصبح مجالا واسعا ونظرية لسانية تناوله الدارسين العرب والغرب، واستطاعة الكشف عنه في مختلف خطاباته، فنجد الحجاج في التفسير، والحوار، والخطبة، والشعر.... الخ.

ومن أجل ذلك جاءت فكرة الغوص في بحثي هذا الذي يتناول آلية مـــن آليات القرآن وهو الحجاج، فالقرآن خطاب حجاجي يعد رسالة موجهة لتأثير على المتلقي وعملية ناجحة لاستمالة

النفوس والعقول، فكان وسيلة وقوة ذاتية للدفاع عن الإيمان وبيان الحقائق للكفار والمعاندين، وهذا بفضل جهود علمائنا الفطاحل في تفسير كتاب الله تعالى، ومنهم تفسير محمد الطاهر بن عاشور الذي ساعدني على فهم معاني القرآن وخباياه لما كان له من فضل في معرفة الأدوات اللسانية والبلاغية التي يقوم عليها البحث فكان بمثابة المستند لهذا البحث الذي ارتأيت أن يكون موسوما بـــ: **مستويات الحجاج في الخطاب القرآني "سورة البقرة" في التحرير والتنوير أنموذجا"**

واختيار هذا البحث نابع من عدة أسباب أهمها:

1- قدسية النص القرآني و إعجاز البياني الذي يمكّن الدارس أن يستخلص عدة دراسات في مختلف المجالات.

2- إثبات أن القرآن الكريم كلام حجاجي في مجمله دون نفي وظائف أخرى.

3- الكشف عن البعد التداولي في خطاب القرآني.

4- ضرورة الوقوف على كيفية محاججة القرآن الكريم للكفار والمعاندين.

5- دافع شخصي وهو الميل الكبير إلى الدراسات التي تهتم بالقرآن والبحث في قضاياه اللغوية.

6- الرغبة في الدراسات اللسانية كونها دراسات مشوقة وممتعة.

ومن هذا المنطلق تم اختيار سورة البقرة في تفسير ابن عاشور لأنه يتميز بأسلوب خاص على غيره من التفاسير الأخرى، حيث يغلب فيه التحليل اللغوي والبلاغي، قال بن عاشور عن تفسيره: "**وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال**".[1]

[1]- ابن عاشور،التحرير و التنوير، ج 1، ص 8.

فهذا البحث يرمي إلى فهم كيفية توظيفه للمعاني في تفسيره،التي من شأنها أن تكشف عن معاني ومقاصد القرآن من منظور تداولي بتتبع أهم القضايا التداولية وهي الأفعال الكلامية، والوسائل اللسانية، ومن منظور بلاغي محاولا رصد الصورة البلاغية ومسالكها،وهذا بفضل النص القرآني بتعدد مستوياته وتنوع المخاطَبين فيه للوصول إلى المبتغى، لذلك اقتصرت الدراسة على هذه السورة في مستويين كما تقيدت بتوجيه ابن عاشور.

وهذا الموضوع هو محاولة للإجابة على جملة من التساؤلات التي أسهمت في بناء الإشكالية الرئيسية:

- أين تجلت مستويات الحجاج في النص القرآني من خلال تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور في تفسيره لسورة البقرة ؟
- كيف تم تناول ظاهرة الأفعال الكلامية و الوسائل اللسانية في تفسير محمد الطاهر ابن عاشور من خلال سورة البقرة ؟
- هل الصورة البيانية تؤدي الوظيفة الحجاجية في الخطاب القرآني؟
- ما هي أهم العناصر الحجاجية في الآيات القرآنية من خلال التحرير والتنوير ؟

ومن أجل حل الإشكالية الرئيسية وللإجابة عن الإشكاليات الفرعية لهذا الموضوع قمنا بتقسيم البحث إلى: تمهيد و مقدمة و ثلاثة مباحث و خاتمة.

أولا: مقدمة ويليها تمهيد.

وتناول **المبحث الأول**: مفهوم الحجاج، وخصص **المطلب الأول**: ماهية الحجاج اللغوية في المعاجم العربية، والاصطلاحية عند كل من الدارسين اللسانيين من العـرب ومنهـم طه عبد الرحمن، وحمادي صمود، أما عند الغربيين قديما أرسطو، وأفلاطون، وحديثا ديكرو، ومايير وبيرلمان المؤسسين لهذه النظرية.

و**المطلب الثاني**: الذي احتوى على تاريخ الحجاج والمدارس التي اهتمت به وأسهمت في تطويره منها الغربية والعربية بجهود مكثفة ومعتبرة.

أما **المبحث الثاني**: وهو الجزء التطبيقي الذي كان بعنوان المستوى التداولي اللساني: تضمن مطلبين خصص **المطلب الأول**: لدراسة الأفعال الكلامية في خطاب السورة حسب تصنيف "سورل" في الدرس اللغوي الغربي وعلاقتها بالفعل الحجاجي، من خلال تفسير التحرير والتنوير الذي اعتمدت وبنيت عليه الدراسة.

أما **المطلب الثاني**: فتناول دراسة الوسائل اللسانية التي تعد وسيلة حجاجية، وهي أربعة أنواع من الحذف و هي" الاحتباك، والاختزال، والاكتفاء، والاقتضاء" لإثبات وتأكيد الحقائق التي جاء بها القرآن وتعد هذه المظاهر من أبدع الإيجاز في بلاغة القرآن.

و المبحث الثالث: خصص لدراسة المستوى الصوري البلاغي: حيث تضمن **المطلب الأول**: بناء الصورة البلاغية "التشبيه، والاستعارة، والكناية" الذي تعتبر لون من ألوان التصـوير الفـني في القرآن، ومن الأساليب الإقناعية.

أما **المطلب الثاني**: فقد خصص لمسالك الصورة بما فيها"الصورة التشخيصية، والساخرة"تناولت فيه الصورة التي ترسمها الآية وتوظفها حجاجيا، وذلك بتتبع المسالك التي ينتجها المخاطبين.

ثم جاءت خاتمة هذا البحث لتسجل أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

وتحقيقا لهذه الخطة، ونظرا لطبيعة الموضوع اعتمدت على المنهج التحليلي التي يقوم على رصد المظاهر التداولية بالاستقراء ثم تفكيكها وتحليلها .

وقد ارتكزت الدراسة في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:كتاب **التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور** الذي هو محور الدراسة، يتميز بمعالجة القضايا التداولية والبلاغية التي تتعلق بالمواقف الحجاجية، واعتماد على أطروحة دكتوراه (محمد مدور الأفعال الكلامية في القرآن

الكريم سورة البقرة)، (كتاب عبد الله صولة الحجاج في القرآن)، وكتاب (فيليب بروتون تاريخ نظريات الحجاج)، وكتاب (عباس حشاني خطاب الحجاج والتداولية)، وكتاب (عبد الجليل العشراوي آليات الحجاج القرآني)، وكتاب (صابر حباشة التداولية والحجاج)، والبقية سوف يتم ذكرها في قائمة المصادر و المراجع إن شاء الله.

أما الصعوبات التي واجهتها خلال إعداد هذا البحث فأهمها:

- قدسية النص القرآني التي تتطلب من الباحث الحذر والحيطة في التعامل مع آياته ونصوصه.

- صعوبة التعامل مع النصوص التفسيرية في كيفية تطبيق المنهج التداولي.

وبالرغم من هذه الصعوبات أتمنى أن تكون هذه الدراسة قد أخذت حقها من الجهد في هذا المجال وحققّت لأهم الأهداف.

وفي الختام أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى مشرفي الفاضل الدكتور: **برا هيمي الطاهر**، الذي وجه وصوب وسدد، أسأل الله أن يحفظه في علمه، وأن يجعله للعلم موئلا، وللأخلاق الرفيعة نبعا صافيا، وأن يبارك في عمره، ليكون لطلابه ذخرا وسندا.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة على التصويب والتوجيه، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت و إليه أنيبُ.

رقية بطاش في: 2016/05/18م

تمهيـــد

كثر الحديث اليوم عن الحجاج ودوره الناجع في مقاربة مختلف الخطابات العلمية والإنسانية والثقافية، وقد تناولته بالتحليل والدرس والتقويم والمعالجة دراسات وأبحاث وكتب ومقالات من الصعب حصرها، إذْ أصبح الحجاج موضوعا لافتا للانتباه بسبب حضوره الكلي والجزئي أو الضمني في أغلب الخطابات.[1] وهذا ما جعل نظرية الحجاج في استثراء متواصل، حيث جُعِلَ ركيزةً وأساساً في ميادين شتّى، وأضحى خير آلية يتسلح بها المحاجج من أجل تبرير مواقفه وخطاباته قديما وحديثا، وعلى هذا فإن الحجاج يكتسي أهمية بالغة من الوظيفة التي يؤديها في الخطاب، والمقصد الذي يرمي إليه؛ وقد غدا من الموضوعات التي حظيت باهتمام واسع في الدراسات العربية والغربية بعد لم شتاته وضبط خصوصياته.[2]

وبهذا ندرك أن عصرنا هو عصر الحجاج والجدال والإقناع والتأثير والحوار؛ لأنه أداة لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها ومصداقيتها، كما يعدّ آلية مهمة في المحاورة بين الأطراف العلمية لتحقيق التواصل المنشود.

وللإشارة فإنّ موضوع الحجاج تطرق إليه العديد من الباحثين، في مجالات علمية متعددة وحقول معرفية متنوعة، كما بعدّ مبحثا من أهم مباحث التداولية بل هو فيها أكثر شمولا واستيعابا.

وبعد الاطلاع على طرف منه تبين لي أن هذا الموضوع جدير بالدراسة في مجال القرآن، فوجهت البحث لفحص الوظيفة الحجاجية للخطاب القرآني في مختلف مستوياته: لسانيا، وصورة بلاغية، من خلال مدونة الطاهر بن عاشور "التحرير والتنوير" تفسير سورة البقرة باعتبارها أطول سور القرآن نصا؛ وهي السورة الثانية من حيث الترتيب في المصحف الشريف، وقد تناولت مواضيع مختلفة

---

[1]- جميل حمداوي، نظرية الحجاج، د ط، شبكة الألوكة ، دار النشر المغرب، ص 6.

[2]– عبد الجليل الشعراوي، آليات الحجاج القرآني "دراسة في نصوص الترغيب والترهيب " ، ط1 2016، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع اربد ، الأردن ،2016.

لإظهار حقيقة الإسلام والتفريق بين الحق والباطل، فهي أعظم السور، ولها فضائل كثيرة على الأمة الإسلامية .

ولأن فهم النص القرآني يتطلّب تداخل الكثير من الوسائل العلمية لفهمه وجبت العودة إلى آراء المفسرين، فاخترت تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور مدونةً للبحث، وبفضل قدرة ابن عاشور الفائقة في التحليل والتعامل مع النص القرآني امتاز تفسيره ببيان المقاصد واستهداف المعاني وإبراز صور تفوق القرآن .

وتفسير التحرير والتنوير من التفاسير اللغوية الحديثة المغنية عن التفاسير الأخرى مع كثرتها وتنوعها، خاصة من الناحية البلاغية واستحضاره للصور البيانية، والأدوات اللسانية عند الممارسة التفسيرية.

فاستصحبنا آراءه وجعلنا تحليله مجالا للشق التطبيقي من البحث أثناء عملية التحليل والدراسة حتى لا نخرج عن المعاني الأصلية للقرآن.

المبحث الأوّل:

مفهوم الحجاج

– المطلب الأوّل:

الحجاج لغة واصطلاحا

– المطلب الثاني:

تاريخ الحجاج ومدارسه

المطلب الأول: مفهوم الحجاج

الحجاج لغة:

الحجاج من مادة حاجَّ. يقول ابن منظور في كتابه لسان العرب: حاججته أحاجُّه محاجا ومحاجَّةً حتى حَجَجْتُه أي غلبته بالحجج التي أدْلَيْتُ بها، وقيل: معنى قوله لجَّ فحَجَّ أي أنه لجَّ وتمادى به لجَاجُه، وأدَّاه، اللَّجَاجُ إلى أن حجَّ البيتَ الحرام، وما أراده، أريد : أنه هاجر أهله بلجاجه حتى خرج حاجًّا ".

ويقول في موضع آخر : " وقيل الحُجَّة ما دُوفعَ به الخصم ، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظَّفَرُ عند الخصوم. وما يزيد للمعنى قوة الحجّة هي الدليل والبرهان: هو رجل محْجَاج أي جدل. والتَّحاججُّ: التَّخاصُم، وجمع الحُجَّة: حُجَج وحجَاج. وحاجَّه مُحَاجَّةً وحجاجا نازعه الحُجَّة... وفي الحديث: فحج أدم موسى أي غَلَبَهُ بالحُجَّة قال الأزهري: إنما سميت حُجَّة لأنها تُحَجُّ أي تقصد لأن القصد لها وإليها، وكذلك محجّة الطريق هي المقصد والمسلك ".[1] وفي القاموس المحيط لفيروز آبادي التَّحَاجُّ: هو التخاصم .[2]

وعلى هذا يكون الحجاج هو النزاع والخصام بواسطة الأدّلة والبراهين والحجج، ويكون مرادفا للجدل بحسب قول ابن منظور :"مقابلة الحجّة بالحجّة"على أن ابن منظور يرى أن استخدام القرآن له يكون دائما بمعنى المخاصمة والمنازعة[3] وأشار إلى هذا المعنى محمد الطاهر ابن عاشور حين قال: "... فعل (حاجّ) جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا

---

[1]- جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، ط ج، 1430هـ/ 2009م، المجلد الثاني ت-ث-ج-ح، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ص 259-260.

[2]- الفيروز الآبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط ، ط،ج1 لونان ، 1415هـ/1995م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ص 248.

[3]- عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، 2001، دار المعرفة للنشر الجمهورية التونسية ص 11-12.

تعرف المادة التي اشتق منها. ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوى مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالباً إلاّ في معنى المخاصمة".[1]حيث "أنّ الجدل هو القدرة على الخصام والحجّة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير برأيك " فتكون في الخير والشر. ويفهم من كلام ابن عاشور "أن الإنسان إذا كان قادرا على الحجاج سمي مجادلا".[2]

وللحجاج دلالات ومفاهيم واسعة في المعاجم اللغوية .قال الزمخشري حجج:" احْتَجَّ على خصمه بحُجَّة شَهبَاءَ وبحجج شُهْب، وحاجّ خصمه فحجّه، وفلان خصمه مَحْجُوج، وكانت بينهما محاجّة وملاجَّة ".[3]

ونلاحظ من خلال هذه التعريفات والتحديدات أن لفظ" الحجاج " يحمل في مضمونه دلالة مستمدة من السياق الواردة فيه، أو الشرط التخاطبي والمتمثل في التخاصم والتنازع والجدل، ينبني على اختلاف مع الطرف الأخر لمناقشة الرأي بصرامة مما يدفع كلا الطرفين إلى إقحام كل ما يملكه من براهين وأدلة لكي يتغلب على الخصم ودحض حجته .

وهذا يستلزم العودة إلى الوقوف على دلالات الحجاج في القران الكريم باعتباره خطاب دعوة وإصلاح يروم التأثير والإقناع والاستمالة للدفع بالمتلقي إلى تعديل سلوكه وموقفه أو تغييره، كونها الأسلوب الأنجع للتأثير في المتلقي إذ يجمع بين ثناياه إمكانات حجاجية هائلة تسخر لإقناع السامع.

[1] – ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير ن ج 3، د ط ، الدار التونسية للنشر تونس، 1984م، ص 32.

[2] – ينظر، عبد الله صولة، ص12.

[3] الزمخشري جار الله ، أساس البلاغة ، الجزء الأول ابب، غيي، ط1 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ص 169.

وإذا أنعمنا النظر والفكر في مادة "ح ج ج " ومشتقاتها في القران الكريم سنجدها مذكورة في عدة مواضع، و من ثم يمكن تكوين صورة شاملة عن المفهوم المقصود ومواضعه في القرآن من خلال الجدول التالي[1]:

	الآية	رقمها	السورة	نوعها
من الفعل الماضي (حاج)	" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ"	257	البقرة	مدنية
	"هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ **حَاجَجْتُمْ** فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ **تُحَاجُّونَ**[2] فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) "	25	آل عمران	مدنية
من الفعل المضارع (يحاج)	"لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (76)"[3]	75	البقرة	مدنية
	"قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ"	138	البقرة	مدنية
	"وَالَّذِينَ **يُحَاجُّونَ** فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ **حُجَّتُهُمْ**[4] دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16)"	14	الشورى	مكية

[1]- عبد الجليل الشعراوي، آليات الحجاج القرآني "دراسة في نصوص الترغيب والترهيب" ط1، 2016 ، عالم كتب الحديث للنشر والتوزيع إربد، الأردن ص 9-10.

2- وفي الآية فعل مضارع.

[3] -ومن نفس صيغة المضارع : قال تعالى :"وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ " آل عمران 73.

4 -لاحظ أن فعل المحاججة هو تقديم الحجة بدليل قوله تعالى ردا على محاججتهم " حجتهم داحضة ". وعرف ابن عاشور الحجة بقوله: والحجّة: "الأمر الذي يدلّ على صدق أحد في دعواه وعلى مصادفة المستدلّ وجه الحقّ "، ينظر: التحرير والتنوير: ج 8 ص 151. وعرّف الاحتجاج بقوله : "وأما الاحتجاج فهو إتيان المحتج بما يظنه حجة ولو مغالطة يقال احتج ويقال حَاجَّ إذا أتى بما يظنه حجة قال تعالى: (ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه) (البقرة: 258)، فالحجة لا تطلق حقيقة إلاّ على البرهان والدليل الناهض المبكت للمخالف، وأما إطلاقها على الشبهة فمجاز لأنها تُورَد في صورة الحجة ومنه قوله تعالى : (حجتهم داحضة عند ربهم) (الشورى: 16) ، وهذا هو فقه اللغة " ينظر: ج 2 ص 47.

من الفعل المضارع (يتحاج)	"وَإِذْ **يَتَحَاجُّونَ** فِي النَّارِ **فَيَقُولُ** الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (47) **قَالَ** الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (48) **وَقَالَ**[1] الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (49)"	47	غافر	مكية
الاسم (الحجة)	"لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ **حُجَّةٌ** "[2]	165	النساء	مدنية
	"وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ"	84	الأنعام	مكية

أمكننا هذا الجدول من حصر معاني المادة ودلالتها في آيات من القرآن الكريم وهي: معنى الخصام والمخاصمة، معنى المناظرة والمجادلة، ومعنى المغالبة في الحجة.[3]

وفي الأخير يمكن القول إن الحجاج في القرآن حقيقة ثابتة وردت بشتى الأشكال والصور؛ إذ الحجاج القرآني منهج محكم يراد به الإبانة والإبلاغ والإقناع، وذلك باستخدام الدلائل العقلية واللغوية، والبيّنات القرآنية وتوجيه النظر إلى الكونية في الأنفس والأفاق، إثباتا لحقيقة الإسلام .

1 –وهنا أيضا دليل على أن المحاججة تقديم الحجج بين المتناظرين بدليل قول الفريق الأول وقول الثاني ... الواضح من تكرار فعل القول بين المتخاصمين.

2– قال فخر الدين الرازي عند تفسيره لقوله تعالى: " "لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ " " يعني تلك الشبهة التي ذكروها تزول بسبب هذا التحويل"؛ أي مغالبتهم في حجتهم؛ ينظر : مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000 م ، ط 1 ، ج 4 ص 126.

3– عبد الجليل الشعراوي، مرجع سابق ، ص 11.

الحجاج: اصطلاحا

تنوعت المفاهيم الاصطلاحية للحجاج بفضل نظريات وتصورات علماء العرب والغرب قديما وحديثا ولأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج نقول:

يعد أبو الوليد الباجي الحجاج علما فيقول: " وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعظمها شأنا، لأن السبيل إلى المعرفة الاستدلال وتميز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت الحجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم".[1] **قال تعالى:﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾** (66)آل عمران.

ولهذا ينبغي مقارنة الحجاج (argumentation) بمفهوم البرهنة (démonstration) أو الاستدلال المنطقي. لأن الخطاب الطبيعي ليس خطابا برهانيا بالمعنى الدقيق للكلمة، كونه لا يقدم براهين وأدلة منطقية، ولا يقوم على مبادئ الاستنتاج المنطقي. فلفظة "الحجاج" لا تعني البرهنة على صدق إثبات شيء ما أو إظهار الطابع الصحيح لاستدلال ما من وجهة نظر منطقية.[2]

ومن هنا يتبين لنا أن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها.[3]

وبعبارة أخرى إن دراسة الحجاج أخذت تهتم بإستراتيجية الخطاب الهادف إلى الاستمالة استنادا إلى أنماط الاستدلالات غير الصورية، وذلك لهدف إحداث تأثير في المخاطب بالوسائل

---

[1]- أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ط3 2000م، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان 403-474هـ ص 8.

[2]- حمو النّقاري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، 1427هـ/ 2006م، دار البيضاء منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ص 56.

[3]- المرجع نفسه، حمو النّقاّري، ص 57.

اللسانية والمقومات السياقية التي تجتمع لدى المتكلم أثناء القول من أجل توجيه خطابه والوصول إلى بعض الأهداف الحجاجية.[1]

وبتعريف مختصر الحجاج هو: "طريقة عرض الحجج وتقديمها".[2] ويجدر بنا أن نستأنس بتعريفات علمائنا للحجاج في الدراسات القديمة والحديثة لأنه مفهوم مطلق وشاسع يصعب تقييده وحصره بتميزه بكثرة الحقول المعرفية وتعدد المجالات المكونة له .

نرصد هنا عددا من تعريفات الحجاج عند ثلة من الدارسين العرب، منهم **طه عبد الرحمان** عرف الحجاج بأنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها".[3] ومقصده من هذا "هو الإطار الذي يظهر به الحجاج، أي التلفظ، ومن ثم الإفهام".[4]

أي أن الحجاج هو الآلية الأنجع في تحقيق التواصل بين المتخاطبين لأن المرسل يستعمل فيها اللغة ويتجسد عبرها الإقناع والإبانة، لذلك يبدوا أن هذا التعريف يجمع بين شكل الحجاج وغايته.

والحجاج عند **حمادي صمود** هو:"علاقة بين الطرفين أو عدة أطراف تتأسس على اللغة والخطاب، ويحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في مقابل جنسا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادا أو يميله عنه أو يصنعه له صنعا".[5] يعني الوسائل التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف المتعددة؛ منها المتعلقة بالمتكلم ومنها المتعلقة بالمخاطب ومنها الخاص بالمقام، لأن الحدود بين اللغة

---

[1]- عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ط1،2006، افريقيا الشرق المغرب، ص 67.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1 2009، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، جامعة سطيف الجزائر ص 106.

[3]- مؤيد آل صونيت، الحجاج تصورات وتقنيات، كلية الآداب جامعة مستنصرية، د ط ، د ن، ص 7.

[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004م، دار الكتب الجديدة متحدة بيروت، لبنان، ص 456.

5- المرجع السابق، مؤيد آل صونيت ، ص 8.

والفكر غير قائمة لذا كانت اللغة تمد المتكلم الحاذق بالأساليب الكفيلة بزحزحة المخاطب عن موقفه.[1]

أما الحواس المسعودي في مقاله المختصر حول الحجاج يرى أن "الخطاب الحجاجي هو خطاب موجه وكل خطاب يهدف إلى الإقناع يكون له بالضرورة بعد حجاجي ".[2] يهدف إلى أن الحجاج وسيلة من وسائل الإقناع وله خاصية متميزة في كونه يعطينا صورة كاملة على عملية التخاطب، ومن خلاله يؤثر المرسل على المتلقي ويدحض آراءه، وبواسطة الحجج المستخدمة يتم التعرف على شخصية المرسل والمتلقي وإمكانياته.لأن "الحجاج هو حاصل نصي عن توليف بين مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي".[3] بمعنى هذا النص كله أو بعضه سيكون في شكل حواري (حجاج حواري).

ومن المعلوم أن هناك جهودا أخرى متفرقة لدى الدارسين في مجال الحجاج نذكر منهم: محمد العمري الذي طبق نظرية الإقناع عند أرسطوا على نمادج من الخطابة.[4] وقد ارتكزت دراسة حمو النقاري التي كانت بعنوان (حول التقنين الأرسطي لطرق الإقناع ومسالكه) والتي بيّن فيها أن العملية الإقناعية هي ظاهرة لسانية منطقية كما لم يغفل عن الجاحظ حيث تناول إستراتيجية الإقناع في كتابه (البيان والتبيين). وكذلك ابن خلدون الذي تحدث عن الحجاج في مقدمته، عن معرفة بالقواعد والآداب و الاستدلال.

[1]- المرجع نفسه، ص 8.

[2]- الحواس المسعودي البنية الحجاجية في القران الكريم، سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة و الأدب، عدد 12، ديسمبر 1997، جامعة الجزائر ص 330.

[3]- باتريك شار ودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى)، ط1 2009 إفريجي، دار الكتاب الجديدة المتحدة ص 16-17.

[4]- ينظر، حمو النقّاري، ص9.

بالإضافة إلى الدراسة التأصيلية للحجاج في التراث العربي لمحمد الواسطي في مقاله (الأساليب الحجاج في البلاغة العربية) والذي عرض بعض أساليب الحجاج مثل المبالغة والاستعارة والتشبيه، مستشهدا بآيات من القرآن الكريم وأبيات من الشعر.[1]

وبناء على هذا يتضح لنا أن الحجاج هو أمر أساسي ومشترك بين هؤلاء حسب اختلاف توجهاتهم في كل المجالات، فجعلوا له قيمة وأهمية بارزة لدى المبتدئين للتعرف لكل ما يحيط به، ومحاولة الظفّر به .

ونجد كذلك الاهتمام الواسع لدى اللسانين الغربيين لماهية الحجاج، وهي النقطة الجوهرية لكل نظرية كما كانت هناك سمات مشتركة بين الدارسين في تحديد مفهوم الحجاج بما أنه مجال مفتوح وحظيت به الدراسة عند العديد من الدارسين، شهد تعريفات متنوعة "للحجاج" بالنظر إليه بسماته الموضوعية العامة والبنى اللغوية المميزة وهي المعيار الأهم التي بنيت عليه تعريفات متعددة، منها التعريفات التالية:

–الحجاج في الدرس الغربي القديم انبثق من جذور يونانية رومانية، وأول دراسة له كانت في الدرس الغربي القديم مع جماعة من السفسطائيين (أرسطو، أفلاطون، سقراط) الذين وضعوا أصول الحجاج، واهتمامهم البالغ بالطرائق الحجاجية والإقناعية، فعمد السفسطائيون في" ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة "النفعية" المتعلقة "باللذة" وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر فكرتا "التوجيه" و "التوظيف" من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة".[2]

[1] – ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 451/450.

[2] –ينظر، محمد سالم، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 27.

حيث اهتم البلاغيون السفسطائيين بهذه النظرية الحجاجية "الاهتمـــام بجماليـة وقدرة اللغة الإقناعية، وبالنظر للكائن الإنساني ككل يحتويه القول ".[1]

والجدل عند أفلاطون في مشروعه صناعة الخطابة" مفهوم الجدل عنده يعوّض بما هو منهج في الفكر وبناء القول ".[2] بمعنى كان الجدل عنده هو" المنهـج الذي به تتجـرد النفس من المحسـوس، وترتفع إلى معقول دون استخدام المحسوس، وإنما يتم من خلال الانتقال من فكرة إلى فكرة بواسطة فكرة ".[3]

"ويؤكد أفلاطون أن الحجاج نوعان: إقناع يعتمد العلم وآخر يعتمد الظن".[4]

أما الحجاج عند أرسطو في كتابه الخطابة " هو حجاج موجه إلى جمهور ذي أوضاع خاصة، في مقامات خاصة ".[5]

و في خطابة أرسطو اعتمدت على ثلاثة أركان أساسية هي:" اعتماد المنهج الجدلّي، معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من الأساليب ".[6]

توسعت مفاهيم الحجاج في الدرس الغربي القديم باعتباره الجوهر الأساسي في مختلف المجالات فحظي بدراسة معمقة عند الكثير من الدارسين لاهتمامه بالعلوم الإنسانية، كما له دور كبير في تفاعل النشاط البلاغي والتداولي لتحقيق أغراض مقاصد المتكلم، فمسألة الحجاج عند السفسطائيين تقوم على صناعة الجدل والخطابة .

---

[1]- فيليب بروتون جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ط1، 1432هـ/ 2011م، مركز النشر العلمي جدة، ص 23.

[2]- ينظر، حمادي صمود، ص 82.

[3]- ينظر، جميل حمداوي، ص 12.

[4]- حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مدارس وإعلام، الجزء الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1 ، 2010 ، ص10.

[5]- ينظر، عبد الله صولة، ص 18.

[6]- ينظر، فليب بروتون، ص 81/80.

نظرية الحجاج في البلاغة الجديدة تتمثل عند كل من:

– **ريكو سيلا رز** إذ يعرفان الحجاج بأنه" عملية عرض دعاوى تتضارب فيها الأداء مدعومة بالعلل والدعامات المناسبة بغية الحصول على الموالاة لأصل تلك الدعاوى".[1]

– أما الحجاج عند **بيرلمان** و**تيتيكا** فقد أوردا للحجاج تعريفات متعددة في مواضع مختلفة، من كتابهما الموسوم (دراسة الحجاج) الذي درس فيه التقنيات التي من شانها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بالموضوعات المعروضة عليها، وأن تزيد في درجة ذلك التسليم، والحجاج في نظرهما يتجاوز النّظر فيما هو حقيقي ومثبت ومحدّد إلى تناول حقائق متعدّدة ومتدرجة، فمبعثه إذا هو الاختلاف، وشرطه أن يقوم على موضوعيّة الحوار؛ حيث يقف فيه الأخر المحاجج موقف الشريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية، وهي: "استمالة المتلقي لما يعرض عليه، وأن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه"[2]

وذكرا أيضا أنّ الحجاج على ضربين:

***الأول**: تمثله البلاغة البرهانية؛ حيث يقوم على البرهنة والاستدلال، ويتتبع الجانب الاستدلالي في المحاجّة ويعتمد على العقل، وهو خاص بالفيلسوف، جمهوره ضيّق، وغايته بيان الحق.

***الثاني**: حجاج أوسع من السابق يهتمّ بدراسة التقنيات البيانية التي تسمح بإذعان المتلقي، وغرضه دغدغة العواطف والإثارة والأهواء، واستنفار السامعين، وعليه يعرف بيرلمان الحجاج بأنه "دراسة

[1]–مؤيد آل صوينت، ص 4 .

[2]–ينظر، خليفة بوجادي، ص 106-107.

التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان، أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل تقبلها".[1]

كما يتميز الحجاج عند " **بيرلمان** " بخمسة ملامح رئيسية:

1.أنْ يتوجه إلى المستمع.

2. أنْ يعبر عنه بلغة طبيعية.

3. أنّ مسلماته لا تعدو أن تكون احتمالية .

4. أنْ لا يفتقر تقديمه إلى ضرورة منطقية .

5. أنْ لا تكون نتائجه ملزمة.[2]

وفي موضع أخر من كتاب (مصنّف في الحجاج) يحدثنا المؤلفان **بيرلمان وتيتكا** عن الغاية من الحجاج فيقولان: "غاية كل من الحجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".[3]

فالحجاج عندهما حرية الاختيار؛ أي هو حوار من أجل توافق أطراف المتحاورة، لتسليم برأي السليم و المقنع، لتحقيق الغاية من الحجاج.

[1]- فيليب بروتون جيل جوتييه، ص 12.

[2]– ينظر، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص 458.

[3] -Perlman et tyteca , Traité de l’argumentation , édition de l’université de Bruxelles , 5émé , édition , 1992, p 11.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الحجاج عند **أزفا لد ديكرو** (o.ducrot) اللغوي الفرنسي هو فعل لغوي موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، وعلى هذا عرضنا مفهوم الحجاج وآلياته من فكرة شائعة مؤداها:" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير".[1]

والمعنى الذي يضيفه "ديكرو" للحجاج هو التفريق بين دلالتين للمصطلح باعتبارين مختلفين :

– **الحجاج بالمعنى العادي:** ويعني طريقة عرض الحجج وتقديمها مستهدفا التأثير في السامع، فيكون الخطاب نابعا فعالا، وهذا معيار أول لتحقيق السمة الحجاجية، غير أنه ليس معيارا كافيا، إذ يجب ألا تهمَل طبيعة السامع أو المستهدف (المستقبل).

– **الحجاج بالمعنى الفني:** ويدل على صنف مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية.[2]

وقد جمع كل من "**ديكرو وأنسكمبر**" في كتابهما (L'argumentation dans la langue) في 1983 عند تعريفهما للحجاج بين الحجة والنتيجة فقالا:" الحجاج عندهما علاقة من طبيعة خطابيّة تقوم بين قولين أحدهما يكون حجّة وثانيهما يكون نتيجة، بحيث إن القائل يقدم حجّة حتى يقنع المخاطب للتسليم بنتيجة ما ".[3] إذن فالحجاج عند "ديكرو وأنسكمبر"هو عمل التصريح بالحجّة من ناحية وعمل الاستنتاج من ناحية أخرى.

وسعيا منا للإحاطة بمفهوم الحجاج نذكر تعريف" **تولمين**" من خلال بحثه المقدم في سنة 1958 the uses of argument"الذي يهدف إلى دراسة أدوات الحجاجية في الاستخدام اللغوي". [4]وقد ترجمها عبد الله صولة على ثلاث مراحل:

---

[1]– أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، 1426هـ-2006م، درب سيدنا الدار البيضاء، ص 14-16 .

[2]- صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل والنصوص، ط1،2008م، صفحات للدراسات والنشر سورية، دمشق، ص 21.

[3]–جاك موشلر آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ط1 1002، دار سيناترا، تونس، ص 336.

[4]- O, Ducrot , les échelles argumentatives , édition de miniut , Paris 1980,P60.

– **الأول**: الحجاج ذو ثلاث أركان أساسية: المصرح به، النتيجة، الضمان؛ و**مثاله**:

محمد جزائري(مصرح به) ⟵ النتيجة (ليس شيعيا)
↓
الضمان يكون ضمنيا (نظرا إلى أن أغلبية الجزائريين ليسوا شيعة).

– **الثاني**: يمثل حجاجا أدق من الأول بحيث يضاف إليه الموجه وهو الاستثناء؛ و**مثاله**:

محمد جزائري(مصرح) ⟵ ليس شيعيا (موجه نسبة مؤكد) إلا إذا
↓
تشيع خلال رحلته إلى إيران (استثناء).

– **الثالث**: يمثل حجاجا أكثر دقة بإضافة العنصر الأساس الذي يبني الضمان؛ **ومثاله**:

(بحكم أن نسبة الشيعة لا تكاد تذكر في الجزائر).[1]

وفي الأخير نبرز الحجاج عند" **ميار**" فيقول: إن أراء ميار في الحجاج متصلة بتحديده لطبيعة الكلام ووظيفته التساؤلية، ولما كان الكلام هو إثارة سؤال أو استدعاء له لزم أن يتولد عن ذلك نقاش يولّد بدوره حجاجا، فالحجاج محايث لاستعمال الكلام؛ لأن الكلام يتضمّن بالقوّة سؤالا يستمدّ منه دلالته؛ والحجاج لا يتصل بضرب من الخطابات مخصوص بل يشمل كلّ ضروب الخطاب الشفوي والمكتوب الأدبي وغيره.[2]

فكان تعريف الحجاج عنده:" هو دراسة العلاقة بين ظاهر الكلام وضمنيّه".[3] ويفهم من هذا القول أن الحجاج عند ميار متعلق بنظرية المساءلة وهو يشتغل باعتباره ضرورة تؤدي نتيجـــة أو موقف، ومن هنا يوظف ميار مفهومين أساسين في عملية الحجاج هما: "ضمنيّ "و"مصرح به" وهما في

[1]– ينظر،عبد الله صولة، ص 23.

[2]- حمادي صمود، ص 394.

[3]- عبد الله صولة، ص 37.

نظر حمادي صمود إعادة صوغ لما جاء عند "ديكرو" في إطار نظرية المساءلة، فالمصرح به هو ظاهر السؤال أما ما هو ضمني فهي الإمكانات المختلفة للإجابة عن سؤال واحد.[1]

بعد استعراض العديد من التعريفات لمصطلح الحجاج، فإننا نستطيع القول إن الحجاج هو مجال غني من مجالات التداولية يشترك مع العديد من العلوم، ويعدّ ضمن الحقل التداولي، لكنّه انبثق من حقل المنطق والبلاغة والفلسفية، يرتبط مفهومه بعدة دراسات قديما وحديثا، وهو بحث من أجل ترجيح خيار من بين الخيارات القائمة والممكنة، لذلك يقوم مفهومه على صناعة الجدل والخطابة.

[1]- المرجع السابق، حمادي صمود، ص 354-395.

المطلب الثاني: تاريخ الحجاج ومدارسه

الحجاج ليس نبتة غريبة في مجال البحث اللغوي المعاصر بل نجد له أصولاً وامتداداتٍ في المتن التراثيّ والفكري والفقهيّ والفلسفيّ والأصوليّ والنحويّ.

لذلك يرى بعض الباحثين أنّ الحجاج الغربي الأرسطي وإن صيغ صياغات حديثة، وهو بذلك يخالف الحجاج العربي الذي مرده طبيعة اللغة والثقافة العربية، وإذا كان الحجاج يقوم على استمالة المخاطب (أو المحاجّ: في صيغة اسم المفعول) وتوجيهه وجهة مّا، فإنّ أجلى الخطابات الحجاجية هي تلك التي تهتمّ بالدعاية والإشهار، ومن ثمة فقد انبرى عدد من الباحثين يحاولون الكشف عن خصائص البنية الحجاجية للخطاب الإشهاري انطلاقا من العمل على توصيف الحجاج والإشهار بوصفهما عمليتين لسانيتين وعقليتين تعتمدان مبدأ استمالة الآخر [1].

ويؤرخ بعض الباحثين للدراسات الحجاجية بالرجوع إلى **بيرلمان وتيتيكا** حيث تطلق كلمة (**argumentation**) على العلم وموضوعه، ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم بما يعرض عليه من أطروحات وأن تزيد في درجة ذلك التسليم، وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يُذعن لما يُطرح عليه من أفكار أو يزيد في درجة الإذعان إلى درجة تبعث على العمل المطلوب.

والحجاج مثلما أنه ليس موضوعيا محضا فإنه ليس ذاتيا محضا أيضا؛ ذلك أن من مقوّماته حرية الاختيار على أساس عقلي، وعلى الصعيد الأخر يمكن القول إنّ الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدّي إلى حصول عمل ما أو إعداد له، ومن ثمّ سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية وأغراضها السياقية، وعلاقة الترابط بين الأقوال والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية، وسيكون الحجاج مؤطّرا بالخاصية اللسانية الشكلية وليس بالمحتوى الخبري للقول الذي

[1]- ينظر، صابر حباشة، التداولية والحجاج، ص 47.

يربط القول بالمقام، ولما كان الأمر كذلك فإن تركيز التداولية ينصب على العلاقات الترابطية بين أجزاء الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له .

ومن خصائص الخطاب الحجاجي الذي يميزه عن البرهان أو الاستنتاج إمكان النقض أو الدحض مما يجعل من إمكانية التسليم بالمقدمة المعطاة أمرا نسبيا بالنسبة إلى المخاطب. وتتصدر المحاجّة كوظيفة لسانية قائمة الوظائف اللغوية بالرغم من عدم إشارة الدارسين الذين تناولوا موضوع وظيفة اللغة إليها كبوهار وجاكبسون وغيرهما ...الخ.[1]

مدارس الحجاج:

سنبين في هذا الباب أهم المدارس اللسانية التي اهتمت بالحجاج وأسهمت في تطويره:

أ– المدارس الغربية:

أولا– المدرسة البلجيكية: تعد المدرسة البلجيكية أول من تعرض لهذا البحث الجديد، وقد تأسست إثر ظهور الكتاب المصنف في الحجاج لبيرلمان حيث شرح لنا في كتابه إمبراطورية البلاغة كيف أن دراسته للبلاغة الأرسطية قادته من خلال التساؤل عن إمكانية وجود المنطق خاص للقيم على نتائج لم تكن متوقعة، وأهم مكان يبحث فيه هو فن بلاغة الحجاج عند القدماء، بالإضافة إلى تعريف الحجاج، وتطرقه لمواضيعه ومتعلقاته من خلال المخاطب والموضوع وما يستدعيه كلّ منهما من نوعية خطابية، وذكره لغاية الحجاج ومميزاته.[2]

[1]- حافظ إسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 1، ط1، 1431هـ/2010م، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ص137-221.

[2]– عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي،ط1، 2014، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن ص65 .

ويمكن أنّ نستنتج من هذا أنّ **بيرلمان**" يحاول أن يجعل من الحجاج نظرية مطابقة للبلاغة، بحصر هذه الأخيرة فيه، وقد وافقه في هذا التصور العديد من البلاغين المعاصرين".[1]وهذا ما ذهب إليه العرب قديما؛ ومنهم الجاحظ الذي يجعل في كثير من المواضع البيان هو نفسه البلاغة، وقد رأينا أنّ البيان عند الجاحظ هو مفهوم الحجاج [2]، إذا هو يطابق أيضا كما يطابق **بيرلمان** الحجاج والبلاغة.

وما يجب ذكره في هذا المقام أنّ المدرسة البلجيكية تعدّ الرائدة في مجال الدراسات البلاغية والحجاجية، حيث شكّلت حلقة بحثية دراسية تصدرها الرائد بيرلمان وصديقه تيتكا، اهتما فيها بدراسة الحجاج الذي يعنى بصفة عامة دراسة تقنيات الخطاب التّي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم، لذا فقد اهتمت المدرسة البلجيكية في بلاغتها الجديدة هذه بدراسة التّنوع المعاصر للمخاطبين، كما تعنى ببلاغة الحجاج (بلاغة الحجة وبلاغة الأسلوب) كشرطين متلازمين لتحقيق الخطاب.[3]

ثانيا– المدرسة الفرنسية: لقد حظيّ الحجاج الواقع تحت اسم البلاغة الجديدة ببحوث جادّة حولته من فكرة إلى نظرية ومن الانزواء إلى شمول على كلّ الميادين، حيث كانت هذه الكاشف الذي هتك الحجب أمام عيوب الدرس البلاغي القديم، حيث "بدأ الاهتمام باللّغة، بصفة فعلية في البحوث السويسرية التّي بحثت في علاقات الدوال والمدلولات، وفي العلامات وخصائصها، وفي دلالة الاختلاف اللغوي صوتيا وموقعيا وسياقيا".[4]

والجدير بالذكر في هذه المدرسة هو جهود **رولان بارت** (Roland Barthes) الذي حاول أن ينظر إلى البلاغة البنيوية نظرة شاملة وبمنظار الدرس البلاغي المعاصر من خلال كتابه الموسوم: قراءة

---

[1]- محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ط1، 2008، إفرنجي، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان ص 108.

[2] -ينظر، عباس حشاني، ص66.

[3] –المرجع نفسه، ص 64–66.

[4]–ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ص 107–117.

جديدة للبلاغة القديمة؛ حيث تناول في الأول الكتاب نشأة البلاغة وأقسامها وأنواع الحجج والبراهين وأجزاء الكلام الخطابي، وفي الجزء الثاني من الكتاب تناول التقنيات البلاغية والعديد من الآليات الحجاجية، وما يتصل من مساعدات خطابية.

ومن الأبحاث الفرنسية التي عززت الدرس الحجاجي البحث الذي قدمه **جاك ديوران** (Jacques Durand) في مقاله المعنون بـ : البلاغة والصورة الإشهارية، وهو بحث يؤكد ما ذهب إليه "**بارت**" في كتابه المذكور إذ انطلق بارت من ثلاث مراحل هي: البلاغة القديمة و بلاغة الصورة والتحليل البلاغي، وهذا ما أدّى بالبحث إلى اكتساب صبغة جديدة تبرز فيها مفاهيم الحجاج والجدل وأساليب استمالة المخاطب.[1]

ويعد **بول ريكور** من النقاد الفلاسفة الذين أثّروا بشكل واضح في الدرسين البلاغي واللساني المعاصرين، ويعدّ اهتمامه بالحجاج فارقا بين كتاباته البلاغية التّي تظهر بصورة ضمنية وبأبرز تجلياتها في المباحث التأويلية.[2]

وفي الأخير يمكن القول بأنّ المدرسة البلجيكية والمدرسة الفرنسية قد تبنتنا الحجاج منذ ميلاده وطفولته بعد أن كان فكرة أو مجموعة أراء متناثرة إلى أن شبّ وغدا نظرية لها مدارسها وروّادها وهذا هو حال الحجاج عند الغرب.

ب– المدارس العربية:

أولا– المدرسة المصرية: إنّ المتتبع للدراسات البلاغية المعاصرة داخل المدرسة المصرية يجد كتاب بلاغة الخطاب وعلم النص **لصلاح فضل**، من بواكير المصنفات في حقل الدراسات النقدية العربية التي تهتم ببلاغة الحجاج وبرائدها بيرلمان، ولهذا المصنف علاقة مباشرة بموضوعنا حيث يقدّم مؤثرات

1- المرجع نفسه، ص 30.

2- ينظر، عباس حشاني، الخطاب الحجاج والتداولية، ص 67-68.

القول للتركيب الاستعاري.[1] ويؤكد صلاح فضل" أن هذه المباحث الجديدة منحت بلاغة الحجاج أفاقا، وأصبح الحجاج نظرية لها اتصالها بمختلف المجالات الحافة".[2]

كما أن صلاح فضل في كتابه هذا قدّم للقارئ العربي قراءة واعية وصورة جليّة للبلاغة المعاصرة واتجاهاتها عامة والحجاجي منها خاصة، ونذكر هنا الكتب التي أسهمت في إثراء البلاغة العربية:

- دراسة أحمد شايب في كتابه الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية.
- دراسة أحمد مطلوب التّي تناول فيها حال البلاغة القديمة وعلاقتها بالأسلوبية الحديثة.

حيث اهتم بالبلاغة العربية من جهة الوقوف على الخصائص والمميزات والعلاقات الموجودة بينها وبين اللّغة والإبداع العربي ولغة الخطاب.

ثانيا– المدرسة المغربية:

من بين الدراسات الأولى التّي تطرقت للحجاج بشكل فنّي دقيق كتاب" **فن الإقناع لمحمد العمري** " لانتباهه المبكر إلى دور الحجاج في قراءة النصوص البلاغية والخطابية، التي تناولها بالدراسة في كتابه البلاغة العربية وأصولها وامتداداتها، وبذلك يرى الباحث محمد العمري في دراسته هذه " أنّه فضلا عن عوامل نشأة البلاغة العربية وتطورها وروافدها فانّ ثمة ثلاثة مستويات أساسية لابدّ من الوقوف عندها لأنها تمثل نظرية بلاغية".[3]

[1]- المرجع نفسه، ص 69.

[2]– ينظر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، ص 234.

[3]– ينظر، عباس حشاني، ص 70-71.

وقد توصّل إلى أنّ الخطابة العربية: هي" خطابة منافرة ومفاخرة ميّالة إلى المدح والهجاء، ولم تعتمد الحوار الهادئ القائم على الحجة إلا في مناسبات محدودة، ولذلك ينتظر أن يكون عنصر الحجاج والبرهنة أضعف عناصر بنائها ".[1]

كما أنّه أفرد كتابا يتناول فيه الحجاج وبلاغته:" في بلاغة الخطاب الإقناعي"؛ وفيه مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، تناول أسس بلاغة الخطاب الإقناعي، والحجج والبراهين الخطابية، مرورا بالمقام والأسس وتصنيف الخطاب والحوار، وصولا إلى صور الحجاج والأسلوب وترتيب أجزاء القول حيث ربط هذه البحوث بما وصل إليه أرسطو.

ثالثا– المدرسة التونسية:

وتتمثل هذه المدرسة في جهود **حمادي صمود** صاحب كتاب: "التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس وهي أطروحة ظهرت في فترة السبعينيات؛ إذ يرى أنّ " أهم القضايا في التفكير البلاغي حتّى القرن السادس يمكن أن تتلخص تحت ثلاثة أقسام كبرى: المفاهيم والمنهج والإجراء".[2]

كما نذكر هنا كتابه:" من تجليات الخطاب البلاغي"؛ وهو الذي يعتبر فيه أن بلاغة الحجاج أدق بحث في الدرس البلاغي والحائز على اهتمام الجميع؛لأنّ الحجاج يعد أهم مظهر، ولأنّ بلاغته تقوم على استغلال جميع العناصر المجاورة المساعدة في فهم الخطاب وتوصيله. ومن هنا كانت أقسام الخطابة الأساسية المتعلقة بالخطاب **ثلاثة وهي:**

– القسم الأول: البصر بالحجة، وتعني حسن الاختيار والتقاط المناسبة بين الحجة وسياق الاحتجاج في صورتها المثلى، حتّى يسدّ المتكلم السبيل على السامع فلا يجد منفذا إلى استضعاف الحجة.

---

[1]– محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، 2002، إفريقيا الشرق، بيروت لبنان، ص 26.

2–ينظر، عباس حشاني، ص 71.

– **القسم الثاني**: هو تركيب الأقسام أي ترتيب الحجج التي اختارها المتكلم بحيث يضع كل واحدة في مكانها المناسب الذي يمنحها الفعالية.

– **القسم الثالث**: هو العبارة حيث يعقبُ اختيارَ الحجج وترتيبها البحثُ عن الأسلوب الأمثل القادر على حمل تلك المضامين وتوصيلها على أكمل وجه، لذلك هذا القسم يلقى أهمية كبرى في تاريخ البلاغة على حساب الأقسام الأخرى.[1]

كما قدّم حمادي صمود تعريفا خاصا للحجاج وأشرف كذلك على كتاب الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة وهو رسالة دكتوراه. والتي انطلق فيها صاحبها من نظريات الحجاج الحديثة ليتخذها خلفية ينظر من خلالها إلى مبحث الحجاج في القرآن، كما بيّن فيها أنّ الحجاج يعتبر قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة، كون هذا الخطاب يقتضي الإقناع والتأثير ثم ينتقل إلى الخصائص الأسلوبية في جميع مستوياتها المعجم والتركيب والصورة.

ونؤكد أننا بعرضنا الوجيز لتلك المـــدارس لم نوفهـــم حقهم من لأن البحوث متواصلة ومكثفة، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس هي الأشهر في الوطن العربي، وهناك محاولات في بلدان عربية أخرى.

[1]- المرجع نفسه، ص71-72.

المبحث الثاني:

المستوى اللساني التداولي

– المطلب الأوّل:

نظرية الأفعال الكلامية (سورة البقرة)

– المطلب الثاني:

الوسائل اللسانية في خطاب السورة

المطلب الأول: نظرية الأفعال الكلامية (سورة البقرة)

الأفعال الكلامية نظرية من نظريات التداولية التي تعنى بالحجاج، على أن الأفعال الكلامية مفادها أن اللغة تمكن المتكلم من التأثير في المتلقي، وهذا بفضل جهود الفيلسوف (أوستين) مؤسس نظرية الأفعال الكلامية وبجهود تلميذه (سورل) الذي عمل على تطوير مفاهيم نظرية أفعال الكلام الأوستينية وتنظيم أفكارها، ووضع الأسس المنهجية المحكمة لهذه النظرية.

وقد ارتأيت أن أعرض في هذا المبحث جانبا من جوانب التداولية، وهو الأفعال الكلامية التي تعد ركيزة أساسية في الاتجاه التداولي، وإبراز علاقتها بالحجاج بوصفه أحد أهمّ أركان التداولية التي عنيت الدراسة به، وهذا من خلال النص القرآني (سورة البقرة) بالاعتماد على تفسير الطاهر ابن عاشور (التحرير والتنوير) الذي هو محور دراستنا.

الأفعال الكلامية في الدرس الغربي اللساني" أصبح مفهوم الفعل الكلامي speech نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية. وفحواه أنه كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري. وفضلا عن ذلك، يُعد نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية actes locutoires لتحقيق أغراض إنجازية actes illocutoires (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... إلخ".[1]

ومن هنا سوف نتطرق إلى الأفعال الكلامية وفق تصنيف (جون سورل) الذي قام بوضع وتقسيم هذه الأفعال في خمسة أصناف وتبنى هذه الأفعال على ثلاثة عناصر رئيسة لابد من توفرها:

أولا: فعل القول: يراد به إطلاق ألفاظ في جمل مفيدة سليمة التركيب، وذات دلالات تحمل في طياتها حمولات تعد قضايا إخبارية .

ثانيا: الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي، وهو يحدد الغرض المقصود بالقول.

[1] –مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي)، ط1، 2005، لدار الطليعة للطباعة والنشر بيروت، لبنان، ص 40.

ثالثا: الفعل الناتج عن القول: وهو ما ينتج عن القول من آثار لدى المخاطب إثر فعل القول.[1]

الأفعال الكلامية وعلاقتها بالفعل الحجاجي في خطاب سورة البقرة:

1-الأفعال الإخبارية:

الأفعال الإخبارية هي الأفعال التي تلزم المتكلم بصدق القضية المعبر عنها، وجعله مسؤولا عن وجود وضع للأشياء.من أمثلتها: أفعال التقرير، والوصف، والاستنتاج.[2] ويعرفها كذلك السكاكي هي" كلام يحتمل الصدق والكذب يعني إمكان تحقق ذلك الحكم، وهو القول المقتضى بصريحة نسبة المعلوم إلى المعلوم بالنفي أو الإثبات".[3]

يتضمن هذا النوع من التصنيف مجموعة من الآيات الواردة في خطاب السورة والحجة المتضمنة فيه يتمثل في وصف حال المنافقين والإخبار عن أعمالهم وكشف ادعاءاتهم.

أ-قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**﴾.[4]

تضمنت هذه الآية فعلا إخباريا تقريريا وصفيا، وهو من الأفعال الكلامية حسب تصنيف سورل .

(**لَا يُؤْمِنُونَ**) يقول ابن عاشور الأظهر أنّ هاته الجملة مسوقة **لتقرير معنى الجملة** التي قبلها.[5] وهي (**سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ**)، وتتمثل قوته الإنجازية في أن أولئك الكافرين لا يؤمنون باستواء الإنذار وعدمه عنهم، لمكابرتهم ومعاندتهم. (نفي صفة الإيمان عنهم).

---

[1] – جميل حمداوي، التداولية وتحليل الخطاب، د ط، د ن، شبكة الألوكة، ص 64-65.

[2] – عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، ط 1 ، 2016 ، عالم الكتب الحديث اربد- الأردن، 160.

[3] – ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط1، 1403هـ/ 1983م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 164.

[4] – سورة البقرة، الآية 6.

[5] –ابن عاشور، ج 1 ص 252.

فالفعل الحجاجي في هذه الآية هو التقرير، يتمثل في (لا يؤمنون) دليل قاطع لتأكيد وإخبار عنهم أن الذين كفروا لا يؤمنون، فعدم إيمانهم حاصل بمعنى استمرار الكفر في المستقبل، فحجة الله عليهم هؤلاء المشركين ظاهرة بأن قلوبهم قاسية لا يدخلها الإيمان، في وقوع التكليف أو عدم وقوعه.

تتمثل الحجة الاستنتاجية لهذه الآية في أن لا طمع في إيمانهم، يعني أن حجتهم ضعيفة ولا جدال فيها لأنه قد اقتضت حكمة الله على أولئك الكافرين أنهم لا يؤمنون، ليس لهم دليل كاف ومقنع لإبراز وبيان حجتهم فمصيرهم أنهم موعودون بالعذاب يوم القيامة مهما كانت حجتهم.

ب– قال تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

"ومن النّاس" ملفوظ إخباري تقريري تكمن قوته الإنجازية في بيان وكشف ادعاءات المنافقين الكاذبة و جهالتهم. وهذه الآية أشارت إلى طائفة من الكفار والمنافقون الذين كان بعضهم من أهل يثرب وبعضهم من اليهود ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر. (يظهرون إيمانهم كذبا ويخفون كفرهم).

"ومـــنّ النّاس" أشهر الصفـات المخصصة للمنافقين والكفار تتمثل في الخبث، والمكر، والجهل والشتم، واستهزاء، والكذب، والجبن، والطمع، فهذه الصفات مذمومة وشنيعة التي لا يرضى بها الله تعالى.

وأشار طاهر ابن عاشور إلى هذا "فورد في شأنهم ثلاثة عشرة آية نُعـيَ عليهم فيها خبثهـم، ومكرهم، وسوء عواقبهم، وسفه أحلامهم، وجهالتهم، وأردف ذلك كله بشتم واستهزاء وتمثيل حالهم في أشنع الصور... ".[2]

فالحجة في هذه الآية الكريمة جاءت لنفي إيمان أولئك المنافقين المبني على الكذب بدليل ثابت وصريح، وهذا راجع إلى صفات ظاهرة عليهم.

---

[1]– سورة البقرة، الآية 8.

[2]– ابن عاشور، ج 1، ص 261.

ج- قال تعالى:﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.[1]

من فعل خطاب مركب، وهو ملفوظ تقريري، قوته الإنجازية تكمن في التحقيق والبرهنة، لتأكيد تحقق الكتمان فان الذي يعلم من اشتّد كتمانه يعلم ما لم يحرص على كتمانه ويعلم ظواهر الأحوال.

قول ابن عاشور: "قد جاءت الآية على طريقة الخطباء والبلغاء، فيما ذكرنا تعليما للخلق وجريا على مقتضى الحال المتعارف من غير مراعات لجانب الألوهية فان الملائكة لا يمترون في أن قوله تعالى الحق ووعده الصدق فليسوا بحاجة إلى نصب براهين".[2]

وقال كذلك في تفسيره" وإنما جيء بالإجمال قبل ظهور البرهان وجئ بالتفصيل بعد ظهوره على طريقة الحجاج وهو إجمال الدعوة وتفصيل النتيجة لان الدعوة قبل البرهان".[3]

فعل الخطاب في هذه الآية هو بمثابة حجة وهذه الحجة تتصل بالنتيجة المرصودة في الخطاب.

" وكنتم تكتمون " تحمل بعدا حجاجيا يتمثل في الإثبات والتحقيق .

2-الأفعال التوجيهية:

ويعرفها محمود نحلة " وغرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين. واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الرغبة الصادقة، ويدخل في هذا الصنف الأمر، والنصح، والاستعطاف والتشجيع ".[4]

---

[1]- سورة البقرة، الآية33.

[2]- ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص 418.

[3]- المرجع نفسه، ص418

[4]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط1، 2006، الدار المعرفية الجامعية، الإسكندرية، ص 50/59.

"ومن أدوات التوجيه التي تقوي إنجازية الفعل الكلامي: ذكر العواقـب، وكذلك توجيه بألفاظ المعجم، وربط إنجاز الفعل بالوعد و الوعيد، وكذلك مدح الفاعل في الأمر، أو ذمه في النهي وكذلك ذكر ما يتوقف عليه المطلوب".[1]

أ- قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾.[2]

تضمنت هذه الآية فعلين من الأفعال الكلامية التوجيهية يتمثل في:

- النداء:" يا بني إسرائيل " فعل كلام إنجازي وهو النداء، تكمن قوته في التنبيه والإنذار، تكرّر نداؤهم بهذه الصيغة في السورة للمرة الثالثة، بغية إحداث تأثير فيهم على طريقة التكرير في الغرض.

- الأمر:" اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ " فعل كلام إنجازي وهو الأمر، قوته الإلزامية تكمن في تمجيد الـمُـنعمْ وتكريم المنْعَمْ عليه، والأمر بذكر النعمة يوحى باقتضاء يتمثل في شكر باعث النعمة.

أما النداء فجاء عاما لبني إسرائيل قال ابن عاشور: "وتوجيه الخطاب إلى جميع بني إسرائيل يشمل علماءهم وعامتهم لأنّ ما خوطبوا به هو من التذكير بنعمة الله على أسلافهم وبعهد الله لهم".[3]

وأما الأمر في قوله:" **اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ**"، فهو مقرون بعموم النعمة، قال ابن عاشور: "وهذا العموم مستفاد من إضافة نعمة إلى ضمير الله تعالى إذ الإضافة تأتي لما تأتي له اللام ولا يستقيم من معاني

[1]- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة (دراسة تداولية)، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2014/2013، ص 178.

[2]-سورة البقرة ،الآية 40.

[3]-ابن عاشور، ج 1، ص449.

اللام العهد إذ ليس في الكلام نعمة معينة معهودة، ولا يستقيم معنى اللام الجنسية، فتعين أن تكون الإضافة على معنى لام الاستغراق فالعموم حصل من إضافة نعمة إلى المعرفة ".[1]

مما زاد التركيب قوة حجاجية لأن النداء عام والتذكير كان بنعمة عامة، وهو مما يعجز اليهود على إنكارهما .

جاء في تفسير ابن عاشور:" ولتوجيه الخطاب إليهم بطريقة أخرى وهي أنه جادلهم بالأدلة الدينية العلمية واثبات صدق الرسالة بما تعارفوه من أحوال الرسل، ولم يعرج لهم على إثبات الصدق بدلالة معجزة القرآن، فكان خطابهم هنا بالدلائل الدينية وبحجج الشريعة ليكون دليل صدق الرسول في اعتبار بحاله وانه جاء على وفاق أحوال إخوانه المرسالين السابقين".[2]

فالبعد الحجاجي الذي تضمنته الآية هو التكرير للتذكير، فحججهم دليل صادق وثابت فإذا لم يكن لديهم من الأصول الدينية ما يمكن أن يجعل مرجعا في المحاورة والمجادلة يقتنعون به.

والغاية الحجاجية من ذلك هي محاولة تذكيرهم للدخول في العقيدة الجديدة.

ب- قال تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾.[3]

نحن أمام متوالية من أفعال الكلام الإنجازية، قوتها تكمن في التحذير، فبعدما ذكّرهم بنعمه عليهم وخاصة تفضيلهم على العالمين في زمانهم فتوهّموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرّهم، فعقّب ذلك بهذا التحذير.

[1]- المصدر نفسه، ج 1 ص 451.

[2]- ابن عاشور، ج1، ص448.

[3]- سورة البقرة، الآية 48.

–الأمر: "واتّقوا يوما لّا تجزى نفس عن نفس شيئا"فعل انجازي وهو الأمر، إنجازه يتمثّل في تحذيرهم من يوم الحساب والعقاب.

" لا تجزي نفس عن نفس" يتمثل إنجازه في التنكير، جاءت في موضعين غايته الحجاجية هي إفادة عموم النفوس، فلا يُستثنى أحد فلا تفيدهم آلهتهم ولا صلحاؤهم.

قال ابن عاشور: "وتنكير النفس في الموضعين وهو في حيز النفي يفيد عموم النفوس أي لا يغني أحد كائناً من كان فلا تغني عن الكفار آلهتهم ولا صلحاؤهم على اختلاف عقائدهم في غَناء أولئك عنهم، فالمقصود نفي غنائهم عنهم بأن يحولوا بينهم وبين عقاب الله تعالى، أي نفي أن يجزوا عنهم جزاء يمنع الله عن نوالهم بسوء رعياً لأوليائهم".[1]

"وقد تمسّك المعتزلة بهذه الآية للاحتجاج لقولهم بنفي الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة لعموم النفس في سياق النفي المقتضى أن كل نفس لا يقبل منها الشفاعة، وهو عموم لم يرد ما يخصصه عندهم".[2]

يعني هذا كان اليهود يزعمون أن آباءهم يشفعون لهم فجاءت الآية تقتضي نفي الشفاعة مطلقا.غير أن المسلمين اتفقوا على ثبوت الشفاعة يوم القيامة للطائعين والتائبين.

–الاستفهام: قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.[3]

فعل كلام انجازي، الاستفهام، والدليل على أن هذا الاستفهام أتي بها للحجاج قول ابن عاشور:"جرى **هذا الكلام مجرى الحجة** على مضمون الجملة الماضية أو المثالِ لها؛ فإنّه لما ذكر أنّ الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور وأنّ الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات، **ساق ثلاثة شواهد** على ذلك هذا أولها وأجمعها لأنّه اشتمل على ضلال الكافر وهدى

1 – ابن عاشور، ج 1 ص 485.

2– المصدر نفسه، ج 1، ص487.

3– سورة البقرة، الآية 258.

المؤمن، فكان هـذا في قـوّة المثال والمقصـود مـن هـذا تمثيل حـال المشركين في مجادلتهـم النبي (صلى الله عليه وسلم) في البعث بحال الذي حاجّ إبراهيم في ربه، ويدل لذلك ما يرد من التخيير في التشبيه في قوله : (أو كالذي مر على قرية) (البقرة : 259) الآية ".[1]

ولأن الاستفهام المتضمن معنى التعجب له قوة حجاجية قال ابن عاشور:" وهذا استدلال (ويقصد الاستفهام) مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال إلاهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس"[2]

ولأن السياق سياق محاججة بدليل لفظ (حاجّ) مع إيثار أسلوب الاستفهام دليل آخر على القوة الإنجازية للاستفهام، قال ابن عاشور:" ومن العجيب أنّ الحجة في كلام العرب البرهان المصدّق للدعوة مع أنّ حاجّ لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة".[3] أي" أن الإنسان إذا كان قادرا على الحجاج سمي مجادلا".[4]

ودل هذا على أنّ إبراهيم هو الذي بدئ بالدعوة إلى التوحيد واحتج بحجج واضحة يدركها كل عاقل، وهي أن الرب الحق هو الذي يحيي ويميت لإثبات دليل وحدانية الله تعالى وإبطال إلاهية الغير.

كما جاء في تفسير ابن عاشور لبيان الدليل على أكمل وجه " أن هذه الآية دليل على جواز المجادلة والمناظرة في إثبات العقائد، والقرآن مملوء بذلك". [5]

[1]- ابن عاشور، ج 3 ص 31.

[2]- المصدر نفسه، ص 31.

[3]- المصدر نفسه، ج 3، ص 32.

[4]- ينظر، عبد الله صولة، ص12.

[5]- ابن عاشور، ج 3، ص34.

-النهي: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.[1]

تضمن فعلا كلاميا إنجازيا، النهي **(لَا تَشْتَرُوا)** تكمن قوته الإنجازية في النهي الموجه إلى علماء بني إسرائيل الذين كانوا يتظاهرون بإنكار القرآن ليلتف حولهم عامة، وصدّ الناس عنه.

حيث قال ابن عاشور:" أطلقت على الآية الحجة لأن الحجة علامة على الحق، ولذلك سميت معجزة الرسول آية قال تعالى" هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات".[2]

البعد الحجاجي لهذه الآية يتمثل في النهي والتحذير بني إسرائيل من هذا العمل الشنيع، لأن جمل القرآن حجة على صدق الرسول لأن بلاغته معجزة، فيجب عليهم الالتزام بتقوى الله.

خلاصة ما جاء في الأفعال التوجيهية يمكن القول إن الاستفهام والأمر والنهي والنداء من الأساليب الإنشائية الطلبية، أما عند التداوليين على لسان سورل فيطلق عليها بالأفعال التوجيهية، غرضها القوة الإنجازية لتحديد مقاصد الكلام في خطاب السورة، وعلى هذا فإن الأفعال التوجيهية تحتل نسبة معتبرة في النص القرآني، لأنها تهتم بتوجيه وطلب فعل معين من المخَاطَبْ سواء العباد المتقين أو المنافقين، فيجب أن يرتبط بحجة لإثبات الدليل باعتبار الحجة عنصر دلالي متضمن في القول، وهذا ما يجعل الخطاب متكامل لإبلاغ هذه القضايا بدلائل قاطعة لا يمكن مخالفتها.

3- الأفعال الإلتزامية:

هدفها التزام المرسل بدرجات متنوعة بأفعال في المستقبل، وهي مبنية على شرط الإخلاص وتتمثل في أفعال الوعد، والوعيد، والدعوة.[3] فإن القاعدة التكوينية الأساسية للفعل الإنجازي (الوعد) يتمثل في الالتزام بفعل معين، وهو مؤشر القوة الإنجازية.[4]

---

[1]- البقرة الآية 41.

[2]- محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص 463.

[3]- عبد الهاذي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط1، 2004 إفرنجي، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، ص 158.

[4]- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، 1426هـ/2006م ، درب سيدنا الدار البيضاء، ص 123.

كثرة هذه الأفعال الإلتزامية في خطاب السورة تتمثل في وعد عباده المتقين بالنعيم مقابل أفعالهم وكذلك توعد عباده الكافرين بالعقاب والعذاب يوم القيامة بحجة مقنعة لا يمكن معارضتها أو الجدال فيها ومن الأمثلة على ذلك:

***وعد المؤمنين ووعيد الكفار:**

-قوله تعالى:﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

- قوله تعالى: " **فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** " تضمن هذا الملفوظ الكلامي **الوعد** بعدم الخوف وعدم الحزن للمؤمنين لمن تبع هُداه.

- " **أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**" فعل تلفظي تقريري تتمثل قوته الإنجازية في **الوعيد** بالعذاب في النار فقد اقتضاه الإخبار عن أصحاب النار الذين كفروا وأنكروا أنبياءه .

-" **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى**" جاء هذا بمثابة إقامة الحجة على الذين كفروا (المخاطَبين) نتيجة عن أعمالهم.

وعلى هذا يقول ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: قوله "فإما يأتينّكم مّنّي هدى" هو في معنى العهد أخده الله على آدم فلزم ذريته أن يتبعوا كل هدى يأتيهم من الله وأنّ من أعرض على الهدى يأتي من الله فقد استوجب العذاب فشمل جميع الشرائع الإلهية ... ".[2]

[1]- سورة البقرة، الآية 38-39.

[2]- ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص 443.

– إذا البعد الحجاجي لهذه الآية يتمثل في الوعيد للذين كفروا بالعـذاب وجاء مذيلا بقوله تعالى: "هم فيها خالدون"وهو تهديد للمشركين وبيان منزلتهم، وكذلك وعد المؤمنين بعدم الخوف فإن مثواهم الجنة.

– الغاية من ذلك أن هذه الآية حجة لأنها تظهر الحق الخفي والدليل للكفار أنهم أصحاب النار يعني حجج ودلائل قوية لا يمكن القطع فيها ولا مخالفتها، لأن هذا القرآن وحي من عند الله.

– ومن خلال هذا نستشهد بقول ابن عاشور:" آية هي الشيء الدال على الأمر من شأنه أن يخفـي، ولذلك لإعلام الطريق آيات لأنهم وضعوها للإرشاد إلى الطريق الخفية في الرمال وسميت الحجة آية لأنها تظهر الحق الخفي ".[1] نفهم من هذا الكلام أن الآية عبارة عن حجة ودليل لي بيان وإظهار الحق للكفار والمؤمنين و إرشادهم إلى الطريق الصحيح.

* وعيد المنافقين:

– قال تعالى:﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۖ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۖ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۖ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾.[2]

تضمنت هذه الآية أصنافا من الوعيد منها:

"**واللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** " فعل تلفظي كلامي تتمثل قوته الإنجازية في وعيد المنافقين وتذكيرهم لحال المنافقين وهو كفرهم، وفيه وعيد وتهديد لهم. ومعنى هذا التوجيه بالتهديد أنّ الله يذهب بسمعهم وأبصارهم بسبب نفاقهم إن لم يبتعدوا عن النفاق، يكون لهم رعب في قلوبهم.

[1]– المصدر نفسه، ص 445.

[2]– سورة البقرة، الآية20/19.

وعلى هذا يقول ابن عاشور: " قوله تعالى" **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** " فلما اعرضوا عن الأمرين كانوا أحرياء بسلب النعمة إلى أن الله لم يشأ ذلك إمهالا لهم وإقامة الحجة عليهم فكانت مستعملة مجازا في مجرد التعليق إظهارا لتوفر الأسباب لولا وجود المانع".[1]

الغاية الحجاجية تتمثل في التهديد بمعنى لو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ما في البرق والرعد من قوة، إعلاما بقدرة الله تعالى على ذلك، فكانت حجة قوية ولها غاية القوة .

وقوله تعالى: "**إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" جاءت في صيغة تذييل للتوجيه وزيادة تذكيرهم، وإبلاغا لهم وقطعا لمعذرتهم في الدنيا والآخرة. (وعيد بأن الله قادر على كل شيء ولا تفيدهم المعذرة بعد هذا كله).

– قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[2]

فعل كلامي انجازي، الوعد، قوته الإنجازية تتمثل في الإعلان والخبر، بأن يعلن دينهم وجهرت بالدعوة إليه، لكن أنهم ليسوا على هدى ما داموا غير مؤمنين بالإسلام فوعدهم الله بان يكفيهم شرهم، فعلق ابن عاشور في هذا:" قوله تعالى "**وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ**" أي فقد تبين أنهم ليسوا طالبي الهدى ولا الحق إذا لا أبين من دعوتكم إياهم ولا إنصاف أظهر من هذه الحجة ".[3]

[1]– ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص323.

[2]- سورة البقرة، الآية 137.

[3]- ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1، ص741.

وعلى هذا يتبين البعد الحجاجي لهاته الآية في الوعيد والتهديد قوله " **فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** " أي السميع لأداهم بالقول العليم وبضمائرهم أي اطمئن بان الله كافيك ما تتوجس من شرهم وأداهم بكثرتهم ."[1] (وعد ووعيد).

الغاية الحجاجية التي تضمنتها الآية هي تثبيت في أنهم في شقاق ليسوا على هدى ولا حق، فتحقق وعد الله عليهم بان يكفيهم سوء شقاقهم، وليس هناك حجة أقوى من ذلك.

4– الأفعال التعبيرية:

هي نوع من الأفعال الكلامية التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم، الإفصاح عن مشاعره والتعبير عن انفعالاته ومن أمثلتها: الشكر والاعتذار، والتهنئة، والترحيب... الخ .[2]

***المكابرة والتحذير:**

ومن أمثلة ذلك في خطاب السورة : **قوله تعالى:** ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.[3]

تدرج هذه الآية في التعبيريات، تضمنت فعلا كلاميا غير مباشر وهو المكابرة، في أن ما يفعله أحبارهم يكون قدوة لعامتهم، وإن لم يتبعوا أحبارهم قبلة الإسلام فعامتهم لا يتبعونها.

وفي قوله " **مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ**" يظهرون مكابرتهم حتى تيأس من إيمانهم، وجاء التعريض هنا " **وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ** " الاعتراض لهم باليأس من رجوع المؤمنين إلى استقبال بيت المقدس. وعلى هذا يقول

---

[1]- المرجع نفسه، ص742.

[2]- قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني موجه إلى بني إسرائيل ، ط1 ،2012 ، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن ص 61.

[3]- سورة البقرة، الآية 145.

ابن عاشور " والمراد بكل آية آيات متكاثرة والمراد بالآية الحجة والدليل على أن استقبال الكعبة هو القبلة الحنيفة".[1]

وهناك دليل على أنهم يخافون بعضهم في قبلتهم وجاء هذا في قوله "**وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ**" خالفت قبلة النصارى قبلة اليهود مع أن شريعة اليهود النصرانية.

قوله تعالى "**وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلمِ**" فالقوة الإنجازية في هذه الآية جاءت في صيغة الإخبار والإعلان بأنه لا يتبع قبلتهم وزيادة تأكيد الأمر باستقبال الكعبة، والتحذير من التهاون في ذلك، والتعبير بالعلم عن الوحي واليقين بالتنويه شان العلم ولفت عقول هذه الأمة وتحذير من إتباع ملتهم.

معلقا الطاهر ابن عاشور على هذا" والمعنى أن إنكارهم أحقّيّة باستقبال الكعبة ليس عن شبهة حتى تزيل الحجة ولكنه مكابرة وعناد فلا جدوى في الإطناب الاحتجاج عليهم".[2]

الغاية الحجاجية تتمثل بأن لا تفيدهم حجة بسبب مكابرتهم وإنكارهم، بأنهم قوم لم يتبعوا قبلة محمد صلى الله عليه وسلم مع قيام الدلائل الواضحة، فهم ظالمون أنفسهم إلى الكفر الملقى في خالد العذاب.

***الامتنان:**

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[3]

[1]- ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 2، ص 35.

[2]- المصدر نفسه، ص36.

[3]-سورة البقرة، الآية 164

في هذه الآية فعل كلامي غير مباشر هو الامتنان بنعم الله تعالى وتتمثل قوتها الإنجازية في تذكير بنعمه للذين يعقلون، بما سخر وخلق لهم، لإثبات دلائل وجود الله تعالى ووحدانيته، ما فيه من مخلوقات السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر، وإنزال المطر لإحياء الأرض، وأنواع الدواب، تصريف الرياح والسحاب المسخر وكل هذه النعم فضلها الله على عباده أصحاب العقول السجية.

وجعل ابن عاشور في مطلع تفسيره لهذه الامتنان المذكور من الحجج التي وظفها القرآن في تأييد دعوى الحق فقال: "**موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى،** ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلاّ التسليم إليها".[1]

***التعريض:** ورد في قوله تعالى"لآيات لقوم يعقلون" فعل كلامي غير مباشر، "فالمعنى أن في ذلك آيات للذين سجيتهم العقل، وهو تعريض بان الذين لم ينتفعوا بآيات ذلك ليست عقولهم براسخة ولا هي ملكات لهم".[2]

فجاءت هذه الآية موقع حجة من الدعوى عقب سابقتها فقد أعلن أن الله تعالى "الإله واحد لا اله غيره" فكانت هذه الحجة لمن ينكر، إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لاتسع الناظر إلى التسليم إليها. وعلى هذا يقول ابن عاشور:"هذه الآية صالحة للرد على الكفار قريش دهريهم و مشركيهم و قد قرر الله في هاته الآية دلائل واضحة".[3]

1 – ابن عاشور، ج 2 ص 76.

2 – ابن عاشور، ج 2، ص89.

3 – المصدر نفسه، ج 2، ص 77

فذكر ابن عاشور هنا دلائل على الذين لا يعقلون، الاستدلال بوحدانيته والامتنان عليهم بنعمته:

أولا: فإن الاستدلال بها على وجود الله تعالى فقط كانت دلائل واضحة و كان ردا على الدهر بين من العرب و كان ذكرهم بعد الذين كفروا و ماتوا وهم كفار.

ثانيا: وأن أريد الاستدلال بهاته الدلائل على وحدانية الله تعالى المستلزمة لوجوده وهو الظاهر من قوله " **لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**" لأن الإستدلال بهاته الدلائل و أمثالها على وجود الصانع لا يدل على كمال عقل بخلاف الاحتجاج بها على الوحدانية.

ثالثا: كفاية هذه الدلائل في الرد على المشركين من حيث أنهم لم يكونوا يدعون للأصنام قدرة على الخلق، وإن أريد بها الاستدلال بهذه الآثار لوحدانية الله على الأمم التي تثبت الاشتراك للآلهة.

رابعا: فوجه دلالة هاته الآيات على الوحدانية.[1]

-تكمن الغاية الحجاجية لهاته الآية في إثبات وحدانية الله تعالى بدلائل قاطعة على الذين كفروا المشركين بأن إله واحد لا إله غيره.

***الـــــذم:**

قال تعالى:﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]

[1] – المصدر نفسه، ص 88.

[2] – سورة البقرة، الآية 213.

فعل كلامي غير مباشر، الذم، تكمن قوته الإنجازية في بيان أحوال الاختلاف الأمم بين أهل الكتاب بعضهم مع بعض، فالله بعث الرسل لإبطال الضلال الحاصل من جهل البشر، فجاءت الرسل بالهدى لهداية الذين اختلفوا في الحق والباطل.

***التحذير:" الَّذِينَ أُوتُوهُ"** تنبيه من أفعالهم الشنيعة لأنهم كانوا أسوء حالا من المختلفين في الحق قبل مجيء الشرائع، وبهذا نستأنس بقول ابن عاشور "والمقصود من هذا بيان عجيب حال البشر في تسرعهم إلى الضلال، وهي حقيقة تاريخية من تاريخ الشرائع، وتحذير المسلمين من الوقوع في مثل ذلك".[1]

وبعد هذا الاختلاف جاء بالبينات و قوله "**مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ**" والمراد بها أنها حجة ودليل التي شانها الصّد عن الاختلاف في المقاصد الشريعة، وهي ظواهر التي لم يتم تأويلها ولا معارضتها.

والغاية الحجاجية تتمثل في الاهتداء بما جاء به الرسل بدلائل لا يمكن مخالفتها وهي بينات مانعة من الاختلاف، ولو كان غرض الأمم إتباع الحق، فهذه البينات جاءت لبلوغ المراد منه وتحذير المسلمين من الوقوع فيما وقعت فيه الأمم السابقة الاختلاف في الدين، أي في أصول الإسلام.

***الاعتذار:**

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.[2]

بعد قوله : **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) ﴾**

[1]-ينظر، محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1 ، ص309.

[2]-البقرة الآية 70.

قال ابن عاشور: "وجملة (إن البقرة تشابه علينا) مستأنفة استئنافاً بيانياً؛ لأنهم علموا أن إعادتهم السؤال توقع في نفس موسى تساؤلاً عن سبب هذا التكرير في السؤال، وقولهم (إن البقرة تشابه علينا) اعتذار عن إعادة السؤال، وإنما لم يعتذروا في المرتين الأوليين واعتذروا الآن لأن للثالثة في التكرير وقعاً في النفس في التأكيد والسآمة وغير ذلك ولذلك كثر في أحوال البشر وشرائعهم التوقيت بالثلاثة".[1]

5 –الأفعال الإعلانية:

وتدعى أيضا الإيقاعيات، لا تحتاج هذه الأفعال لشرط الإخلاص ونجاح هذه الأفعال في مطابقة محتوى القضايا للعالم الخارجي، وأهم ما يميز هذه الأفعال أنها تحدث تغييرا في الوضع القائم وهو غايتها.[2]

وهي الأفعال التي تحدث تغييرات فورية في نمط الأحداث العرفية التي غالبا ما تعتمد طقوسا اجتماعية، ومن أمثلتها: أفعال إعلان الحرب والطلاق والطرد... الخ.[3]

***حكم الطلاق:** يتمثل في هذه الآية قوله تعالى:﴿**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾.[4]

-"**فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ** " يتضمن فعلا كلاميا، إعلان عن حكم الطلاق تكمن قوته الإنجازية في بيان مراتب الطلاق حسب أحكام الإسلام، ووجوب إتباع حدود الله.

1 -ابن عاشور، ج 1 ص 554.

2– عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية، ط1، 2014 عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ص265.

3– ينظر، عبد الجليل العشراوي، ص 161.

4–سورة البقرة، الآية 230.

أكد ابن عاشور هذا "وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون" وتبيين الحدود ذكرها للناس موضحة، مفصلة، معللة (أحكام الطلاق) ويتعلق قوله "لقوم يعلمون" وصف القوم بأنهم يعلمون صريح في التنويه بالذين يدركون ما في أحكام الله من المصالح، وهو تعريض بالمشركين الذين يعرضون عن إتباع الإسلام ".[1]

الغاية الحجاجية في هذه الآية تتمثل في بيان حدود هذه الأحكام وحقيقتها، وتحذير الأزواج من الوقوع في الخطأ، فيجب مراجعة ما جاء به القرآن لأنه دليل اصح ولا يمكن معارضته، والقرآن حجة للذين لا يعلمون.

*وخلاصة ما جاء في هذا المطلب فإن نظرية الأفعال الكلامية الحديثة التي أسسها رواد الفلسفة التحليلية مثل فيتغنشتاين وسورل وأستين وغيرهم، يمثل النواة المركزية في الدراسة التداولية، ويعد فعل الكلام الإنجازي محور هذه النظرية وعلاقته بالفعل الحجاجي الذي يعتبر فعل متضمن في القول، باعتباره أداة فاعلة بهدف التأثير وانجاز شيء معين .

والجدير بالذكر أن ظاهرة الأفعال الكلامية خاض وبحث فيها العلماء العرب في كتب التراث اللغوي العربي، فقد توسعوا و تعمقوا في تحليـــل مفاهيمه وتطوير أسسه بين"الخبر والإنشاء" لإثبات وجود ظاهرة الأفعال الكلاميـــة في الثرات العربي ومنهـــم من تخصص بهـــذه الدراسة الفارابي، والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم .

وبهذا يعد الخطاب القرآني في سورة البقرة من خلال تفسير الطاهر ابن عاشور على وجه الخصوص خطابا تداوليا بامتياز يشتمل الحيز الأوسع بفضل تنوع أساليبه، وتنوع المخاطبين فيه من المؤمنين والكافرين والمنافقين وغيرهم وذلك من خلال الاستدلال بالحجج والبراهين لا تقبل الشك أو التأويل من القرآن الكريم .

[1] –محمد الطاهر ابن عاشور، ج 2 ، ص 421.

وقد تنوعت الأفعال الكلامية في خطاب السورة وتعددت من خلال تعدد المواضيع التي تناولتها السورة، وكانت غالب الأفعال الكلامية التي احتلت نسبة الأكبر في خطاب السورة، منها الأفعال الإخبارية لأنها ارتبطت بذكر الأخبار ووصف أحوال المخاطبين، وتليها الأفعال التوجيهية التي تحتوي على الأمر والنداء والاستفهام لارتباطها بالأحكام والتكاليف الشرعية، وهذا ما ذهب إليه محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره لإبراز هذه الأفعال الكلامية وعلاقتها بالفعل الحجاجي في سورة البقرة.

وفي الأخير يمكن القول أن هذه الأفعال الكلامية، اختلفت حسب قوتها الإنجازية، لتحديد مقاصد الكلام في خطاب السورة بسياقات التواصلية والتخاطبية لتأدية الوظيفة الحجاجية.

المطلب الثاني: الوسائل اللسانية في خطاب السورة

تقوم هذه الدراسة بالكشف عن أنواع الحذف في اللغة العربية التي تعد فنا من فنون البلاغة، وسرا من أبدع أسرارها تناوله العديد من العلماء والمفسرين في كتاباتهم بالتفصيل، وللإحاطة بهذه الوسائل اللسانية اعتمدت على تفسير محمد الطاهـر ابن عاشور في سـورة البقرة على وجه الخصوص، حيث تُوجَد ظاهرة الحذف أكثر بروزا في هذه السورة الكريمة، وهذا من بلاغة الإيجاز في الإعجاز القرآني لتأدية الوظيفة الحجاجية.

واقتصرت الدراسة على أربعة أنواع من الحذف:

1- الحجاج بالاختزال:

أصل من أصول البلاغة الذي يساهم في تأدية الوظيفة الحجاجية، فكانت هناك تعريفات عديدة لهذا النوع من أنواع الحذف، ومنهم الزركشي في كتابه البيان: هو" حذف كلمة أو أكثر ".[1]

والاختزال عند صاحب الإتقان "وهو أقسام، لأن المحذوف إما كلمة، اسم، أو فعل، أو حرف، أو أكثر ".[2] ومن خلال هذين التعريفين يتضح أن "الاختزال يؤول إلى حذفين اثنين، حذف المفرد وحذف الجملة".[3]

نفهم من كلام الزركشي والسيوطي أن الاختزال هو عبارة عن حذف المبتدأ، والخبر، والمفعول به، والمضاف، والمضاف إليه، والفعل، والفاعل، وحذف حرف النداء ولا النافية، وحذف جواب الشرط وغيرهم. وهذا من أروع الإيجاز لتحقيق الغرض المقصود.

---

[1] -محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 3، دار المعرفة، بيروت، 1972 ص 134.

[2] -ينظر، جلال الدين السيوطي، ص 543.

[3] -إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في التفسير التحرير والتنوير، رسالة دكتوراه ، مملكة العربية السعودية أم القرى، 1419هـ/1999م، ص242.

1– حذف الفاعل والبناء للمجهول:

قال تعالى :﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَل مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾.[1]

نفي أعمال بني إسرائيل، حيث حذف الفاعل اليهود وأسنده للمجهول في هذه الآية الكريمة، فهو مطابق لمقام المشركين فقد توهموا اليهود أنهم منتسبين إلى الأنبياء عند الله تعالى.

فهذا وجه من وجوه بلاغة القرآن في كيفية توجيه الكلام مع المخصوم بطريقة التي ينبغي أن يسير عليها، وهو المسار الحجاجي لإثبات حجته.

قال ابن عاشور: " والنصر هو إعانة الخصم في الحرب وغيره بقوة الناصر وغلبته. وإنما قدم المسند إليه لزيادة التأكيد المفيد أن انتفاء نصرهم محقق زيادة على ما استفيد من نفي الفعل مع إسناده للمجهول كما أشرنا إليه آنفاً، وقد كانت اليهود تتوهم أو تعتقد أن نسبتهم إلى الأنبياء وكرامة أجدادهم عند الله تعالى مما يجعلهم في أمن من عقابه على العصيان والتمرد كما هو شأن الأمم في إبان جهالتها وانحطاطها ..." .[2]

2– الاهتمام بالفعل دون الفاعل والاهتمام بالفاعل دون الفعل :

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.[3]

الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل يتمثل في حصول الإيمان، أما الاهتمام بشأن الفاعل وهو تصريح القائلين بإيمانهم ولم يقع منهم إيمان، ولهذا نفى الإيمان عنهم لكذبهم، وهذا فريق ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر.

وجاء التقديم هنا للإخبار لما فيه من فائدة نفسية ظاهرة وهي التشويق، وهذا من أبدع الإيجاز في القرآن.

---

[1] –البقرة الآية 48.

[2] –محمد الطاهر ابن عاشور، ج 1 ، ص 486.

[3] –البقرة الآية 8.

قال ابن عاشور: "الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو هو، ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بلهَ الاستقبال فكان قوله : (وما هم بمؤمنين) دالاً على انتفائه عنهم في الحال، لأن اسم الفاعل حقيقة في زمن الحال وذلك النفي يستلزم انتفاءه في الماضي بالأُوْلى، ولأن الجملة الفعلية تدل على **الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل** فلذلك حكى بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا) آمنَّا، (والجملةُ الاسمية تدل **على الاهتمام بشأن الفاعل** أي إن القائلين) آمنا (لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية وهو مُصَدَّق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقاً وإن أهملوا التنبيه على جريان تلك القاعدة عندما ذكروا الفروق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني وأشار إليه صاحب (الكشاف) هنا بكلام دقيق الدلالة ".[1]

2– الاحتباك:

آلية من آليات الحذف في القرآن الكريم، ورد في كتب البلاغة والتفسير بكثرة حيث قال عنه السيوطي" وهو من ألطف أنواع وأبدعها، وقّل من تنبه له أو نبّه عليه من أهل فنّ البلاغة، قال في تعريفه هو "هو أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيرُه في الثاني، ومن الثاني ما أُثبت نظيره في الأوّل".[2]

ومن علماء البرهان" الزركشي "فقد سماه (الحذف المقابلي) عرفه: "هو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من كل واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه ".[3]

ولإعطاء صورة كاملة عن الاحتباك من خلال هذه التعريفين: "هو أن يؤتى بكلامين في النص في كل منهما متضادان، أو متشابهان، أو متناظران، أو منفيان، أو يشترك نوعان منهما في نص واحد، فيحذف من احد الكلامين كلمة، أو جملة إيجازا يأتي ما يدل على المحذوف في الثاني، ويحذف من

[1] –ابن عاشور، ج 1 ، ص 265.

[2] – الإتقان في علوم القرآن ص 542.

[3] – محمد بن عبد الله الزركشي، ج 3، ص 129.

الثاني كلمة أو جملة أيضا قد أتى ما يدل عليه في الأول، فيكون باقي كلّ منهما دليلا على ما حذف من الآخر... "[1]

1-ويتمثل ذلك **في قوله تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ...﴾** "[2]

"ومثل" تعود هنا إلى الذين كفروا في تشبيه حالهم كمثل غنم الذي يُنعَق عند سماع دعوة النبيء صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الإسلام ." **الَّذِي يَنْعِقُ** " تحتمل الأنبياء والكفار فهي حقيقة على صحة الوصف.

وهذا ما أكده السيوطي "التقدير: ومثل الأنبياء والكفار كمثل الذي يَنْعقُ والـذي ينْعَـقُ به، فحذف من الأول الأنبياء لدلالة "الّذي يَنْعقُ" عليه، ومن الثاني الذي يُنْعَقُ به، لدلالة "الّذين كفروا "عليه".[3]

يتبين هنا الاحتباك في هذه الآية الكريمة، تشابه في كلمة واحدة فحذف الأول الأنبياء لرفع من شأنهم بحذف ذكرهم، وذكر المشركين لتحط من شأنهم "بما لا يسمع إلا دعاء ونداء "لإثبات الدليل، وهذا من أجمل أنواع الحذف في القرآن الكريم .

2- **قال تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.**[4]

[1] -أحمد فتحي رمضان، وعدنان عبد السلام اسعد، الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية، مجلـة أبحـاث كلية التربيـة الأساسية، م 4، ع 2، جامعة الموصل / كلية الآداب، ص 42.

[2] - البقرة الآية 171.

[3] - ينظر، جلال الدين السيوطي، ص 542.

[4] - البقرة الآية 134.

"لها ما كسبت" جاءت لتفصيل لمعنى خلت، فجعلت "لها ما كسبت و لكم ما كسبتم" خاصة بالأعمال الصالحة لها ما كسبت ثوابه ولكم ما كسبتم إثمه، وقوله "ولا تسئلون" كل ما عمل من الإثم، بمعنى الكسب يترتب عليه الثواب والعقاب.

قال ابن عاشور: "والخطاب موجه إلى اليهود أي لا ينفعكم صلاح آبائكم إذا كنتم غير متبعين طريقتهم، فقوله: "**لَهَا مَا كَسَبَتْ**" تمهيد لقوله: "**وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم**" إذ هو المقصود من الكلام، والمراد بما كسبت وبما كسبتم ثواب الأعمال بدليل التعبير فيه بلها ولكم، ولك أن تجعل الكلام من نوع **الاحتباك** والتقرير لها ما كسبت وعليكم ما كسبتم أي إثمه" .[1]

3-**قال تعالى:**﴿ **يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِّبَواْ وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾.[2]

مقابلة المحق بالربا والإرباء، فذكر الأول يمحق الله الربا لبيان سوء عاقبة الربا في الدنيا والآخرة، حذف الثاني لدلالة على الإرباء الصدقات استطراد لبيان عاقبة الصدقة في الدنيا، وهو الفوز بالخير في الدارين (وعد و وعيد).

قال ابن عاشور: "والمِحْق هو كالمِحْو: بمعنى إزالة الشيء، ومنه محاق القمر ذهاب نوره ليلة السِّرار. ومعنى (يمحق الله الربا أنّه يتلف ما حصل منه في الدنيا، ويربي الصدقات) أي يضاعف ثوابها لأنّ الصدقة لا تقبل الزيادة إلاّ بمعنى زيادة ثوابها، وقد جاء نظيره في قوله في الحديث: (مَن تصدّق بصدقة من كسب طيّب ولا يقبل الله إلاّ طيباً تلقاها الرحمن بيمينه وكِلْتَا يديه يمين فيُرْبيها له كما يُرْبِي أحدُكم فُلُوّه). ولما جعل المحق بالربا وجُعل الإرباء بالصدقات كانت المقابلة مؤذنة بحذف مقابلين آخرين، والمعنى: يمحق الله الربا ويعاقب عليه، ويربي الصدقات ويبارك لصاحبها، على طريقة **الاحتباك**" .[3]

---

[1]- ابن عاشور، ج 1 ، ص735.

[2]- البقرة الآية 276.

[3]- ابن عاشور، ج 2 ، ص 91.

4–قال تعالى:﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى العَالَمِينَ﴾.[1]

جاء الاحتباك في هذه الآية الكريمة " **لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ** " أن دفاع الناس بعضهم بعضا يصد المفسد عن محاولة الفساد.

ذلك أن الله تعالى لما خلق الموجودات التي على الأرض خلقها قابلة للاضمحلال وأودعها في الأفراد فهناك من يطلب البقاء، والآخر يطلب الهلاك.

قال ابن عاشور:" ومعنى فساد الأرض: إما فساد الجامعة البشرية. كما دل عليه تعليق الدفاع بالناس، أى لفسد أهل الأرض، وإما فساد جميع ما يقبل الفساد، فيكون في الآية احتباك، والتقدير: ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض وبقية الموجودات بعضها ببعض لفسدت الأرض: اى من على الأرض ولفسد الناس ".[2]

ومن خلال كل هذه الشواهد التي جاءت على طريقة الاحتباك يقول عبد الله صولة " على أن هذا الكلام المحذوف، ليس أي كلام. إنه في معظم الأحيان الحجة التي يسكت عنها الكلام ويسقطها عاملا مع ذلك بإحكام على أن يعْثُرَ المتلقي عليها ويلتقطها ويجعلها حجته الخاصة ".[3]

3– الاكتفاء:

اتخذ الزركشي هذا نوعمن أنواع الحذف الاكتفاء كبقية الأنواع الأخرى فقد عرفه " هو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيُكتفى بأحدها عن الآخر ويخص بالارتباط العاطفي غالبا، ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق، بل لأن فيه نكتة تقتضي الاقتصار عليه".[4]

---

[1] – البقرة الآية 251.

[2] – ابن عاشور، ج 2، ص 503.

[3] – ينظر، عبد الله صولة، ص 417.

[4] – محمد بن عبد الله الزركشي، ص 118.

وعلى هذا يقول عبد الله صولة: يمكن أن نرد الحذف والاكتفاء إلى وجوه خمسة:

1-حذف العنصر الجزئي والاكتفاء عنه بالعام.

2-حذف الأقرب والاكتفاء بالأبعد لكون مدى الأبعد يحصل الأقرب.

3-حذف ما لا يهم المتلقّي والاكتفاء بذكر ما يهمّه.

4-حذف ما بشأنه ان ينفّر المتلقي والاكتفاء بذكر ما يُرغّبُه.

5-حذف المقابل والاكتفاء بالمذكور دالا عليه بالمفهوم.[1]

ورد الاكتفاء في مواضع كثيرة:

-كقوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾.[2]

" **لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" بيان الذين لا تتحقق فيهم الدعوة أولى من بيان الآخرين وهذا من أروع الإيجاز في بلاغة القرآن.

قال فيها الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: " وقوله تعالى: "**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**" استجابة مطوية بإيجاز وبيان للفريق الذي تتحقق فيه دعوة إبراهيم والذي لا تتحقق فيه الاقتصار على أحدهما لأن حكم أحد الضدين يثبت نقيضه للآخر على طريقة الإيجاز، وإنما لم يذكر الصنف الذي تحقق فيه الدعوة لأن المقصد ذكر الصنف الآخر تعريضا بأن الذين يزعمون يومئذ أنهم أولى الناس بإبراهيم وهم أهل الكتاب ومشركو العرب هم الذين يُحرمون من دعوته ... ".[3]

---

[1] - ينظر، عبد الله صولة، ص 418 / 419.

[2] - البقرة الآية 124.

[3] -ابن عاشور، ج 1، ص706.

2–قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فأولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[1]

تبين الاكتفاء في هذه الآية "**أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**" أكتفى بها لتصريح بشيئين المؤمنون والكافرون، بأن الذين أتوا الكتاب وتلوه حقّ تلاوته هم الذين يؤمنون به .

قال ابن عاشور: " والقول في قوله: "**وَمن يَكْفُرْ بِهِ فأولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ**" كالقول في أولئك يؤمنون به (وهو تصريح بحكم مفهوم) أولئك يؤمنون به، وفيه **اكتفاء** عن التصريح بحكم المنطوق وهو أن المؤمنين به هم الرابحون ففي الآية إيجاز بديع لدلالتها على أن الذين أوتوا الكتاب يتلونه حق تلاوته هم المؤمنون دون غيرهم فهم كافرون فالمؤمنون به هم الفائزون والكافرون هم الخاسرون".[2]

*الاقتضاء:

تعددت دلالة الاقتضاء عند العديد من الدارسين، علماء الدلالة والتداوليين ومنهم "ستالنيكار 1977 إذ أنّ "الاقتضاء عنده هو استعداد لغويّ لدى المتكلم لاستعمال اللغة ".[3]

وقد عرفه كذلك أبو حامد الغزالي بأنه" ما لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقا، ولكن يكون من ضرورة اللفظ، إما من حيث لا يكون المتكلم صادقا إلا به، أو من حيث يمتنع وجود الملفوظ شرعا إلا به، أو من حيث يمتنع ثبوته عقلا إلا به".[4]

–قال تعالى:﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾.[5]

" **قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا** "خطاب لأهل الكتاب يعتبر جواب لكلامهم ودليل.

---

[1]– البقرة الآية 121.

[2]– المصدر نفسه، ابن عاشور، ج 1، ص 697.

[3]– ينظر، جاك موشلر آن ريبول، ص 250.

[4]– أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج 2 ، د ت ، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص 187.

[5]– البقرة الآية 139.

محاجة الله أهل الكتاب بدلالة الاقتضاء، بعدم محاجة المؤمنين وإشراكهم بأعمال اليهود على أنهم من أفضل أمتي. "لنا أعمالنا" أي لنا أعمالنا لا أعمالكم تفيد الاختصاص المتكلمين بما عملوا لارتقاء مكانة المسلمين.

وبين هذا ابن عاشور قال: "والاستفهام للتعجب والتوبيخ، ومعنى المحاجة في الله الجدال في شؤونه بدلالة **الاقتضاء** إذ لا محاجة في الذات بما هي ذات والمراد الشأن الذي حمل أهل الكتاب على المحاجة مع المؤمنين فيه وهو ما تضمنته بعثة محمد (صلى الله عليه وسلم) من أن الله نسخ شريعة اليهود والنصارى وأنه فضله وفضل أمته، ومحاجتهم راجعة إلى الحسد واعتقاد اختصاصهم بفضل الله تعالى وكرامته".[1]

2–قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ .[2]

" **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**" جاء على طريقة دلالة الاقتضاء الاستعمال اللغوي، فاذكروني فالمراد تذكر ما ينفعهم بذكر الله تعالى وذكر فضائله، وأذكركم توحي بالمعاملة من الله تعالى بزيادة النعم والنصر والعناية في الدنيا وبالثواب في الآخرة.

فصل ابن عاشور في هذا قال: "والذكر في قوله : "**أَذْكُرْكُمْ**" يجيء على المعنيين، ولا بد من تقدير في قوله: "**فَاذْكُرُونِي**" على الوجهين لأن الذكر لا يتعلق بذات الله تعالى فالتقدير اذكروا عظمتي وصفاتي وثنائي وما ترتب عليها من الأمر والنهي، أو اذكروا نعمي ومحامدي، وهو تقدير من دلالة **الاقتضاء**".[3]

–خلاصة ما جاء في هذا المطلب أن الوسائل اللسانية وسيلة من وسائل الحجاج حيث كثرت ظاهرة حذف الكلام في سورة البقرة باعتبارها الحجة للمتلقي، وذلك بتقدير الكلام لتحديد مقاصد الخطاب القرآني وهذا وجه من وجوه الإعجاز البياني.

[1] – ابن عاشور، ج 1 ، ص 745.

[2] – البقرة الآية 152.

[3] – ابن عاشور، ج 2 ، ص 50.

المبحث الثالث:

المستوى البلاغي الصوري

– المطلب الأوّل:

بناء الصورة البلاغية (التشبيه، الإستعارة، الكناية)

– المطلب الثاني:

مسالك الصورة (الصورة التشخيصية، والساخرة)

المطلب الأول: بناء الصورة البلاغية (التشبيه و الاستعارة و الكناية)

دراسة الصورة البلاغية في القرآن الكريم لقيت احتفالا شديدا من جانب البلاغيين القدامى والمعاصرين، فبذلك تعد الصورة من الموضــوعات الفنية التي أفرد لها الدارسون حيزا واضحا في بحوثهم، لما لها من تأثير حيوي في جمال التعبير لإحداث أثرا في النفوس بنقل المعاني من المجرد إلى المحسوس لتأدية الوظيفة الحجاجية بتواصل الخطابات بين المتكلمين بأروع طرق في التعبير، وأدق تصوير.

إن دراسة الصورة البيانية في سورة البقرة لون من ألوان التناسق الفني في التصوير، يكشف عن أسرار الظاهرة الجمالية في هذه السورة، حيث تمتاز بأسلوب فريد في التصوير البديع القائم على عرض ما يحيط بالكون والإنسان، والأحاسيس، والمشاعر فيما يكشف عن نعيم والعذاب، ووصف الجنة والنار، وأحوال السعداء والاشقياء، بالأساليب الإقناعية، وهذا بالاعتماد على تفسير محمد الطاهر بن عاشور ومقاربته لصورة البيانية في سورة البقرة.

1–التشبيه:

التشبيه هو أحد الأركان الأساسية للبلاغة العربية وفصل هام من فصول الإعجاز البياني للقرآن الكريم، لغرض توضيح الحقائق العلمية والمحسوسة والمعقولة، واستعمل التشبيه في القرآن لإثبات الحقائق وإقامة البرهان وتوضيح المعاني. و" هو الإخبار بالشبه، وهو اشتراك الشيئين في صفة أو أكثر، ولا يستوعب جميع الصفات ". [1]

[1] – بدوى طبانه، البيان العربي ، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربيّة، ط2 ، 1377هـ / 1958م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 221.

وعرّفه السكاكي بقوله "وصف الشئ بمشاركته المشبه به في أمر "[1]. وعرفه كذلك جلال الدين السيوطي" هو الكشف عن المعنى المقصود مع الاختصار ".[2]

وخطاب سورة البقرة طافح بالتشبيه لاحتوائها على مواضيع متعددة منها:

- قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾.[3]

فالصورة في هذه الآية الكريمة تقوم على التشبيه التمثيلي، إذ شبه إنفاق الأموال رئاء الناس ثم إتباع ذلك بالمن والتطاول بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس، يترقب الناس أن يصيبه الوابل(المطر)، فلم يترك منه شيئا وبقي مكانه صلدا، ولا يترك له أثر، سرعة الزوال.

وعن هذا التشبيه يقول ابن عاشور "تشبيه مركب معقول بمركب محسوس، ووجه الشبه الأمل في حالة تغر بالنفع ثم لا تلبث ألا تأتي لآملها بما أمله فخاب أمله".[4]

- قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.[5]

مضى في التصوير السابق إبراز المعنى المقابل لمعنى الرياء ومعنى الذهاب بالصدقة التي يتبعها المن والأذى، أما الوجه الثاني الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله، وهذا كله لزيادة بيان المرتبتين وتأكيدا للثناء على المنفقين بإخلاص وتفننا في التمثيل.

---

[1]- ينظر، مفتاح العلوم، ص 232.

[2]- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، 1429هـ / 2008م، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت، لبنان، ص 506.

[3]- البقرة الآية 264.

[4]- ينظر، ابن عاشور، ج 3، ص 49.

[5]- البقرة الآية 265.

ويبين ابن عاشور المقصد من هذا التشبيه التمثيلي بقوله: "فلما مثّل حال المنفق رئاء بالتمثيل الذي مضى أعيد تمثيل حال المنفق ابتغاء مرضاة الله بما هو أعجب في حسن التخيّل؛ فإن الأمثال تبهج السامع كلّما كانت أكثر تركيبا وضمنت الهيأة المشبه بها أحوالا حسنة تكسبها حسنا ليسري ذلك التحسين إلى المشبّه، وهذا من جملة مقاصد التشبيه".[1]

فجاءت هاتين الآيتين لإقناع السامع بأدلة شرعية واضحة عن طريق التشبيه المحسوس حتى تصل الصورة إلى النفوس كاملة، فهو مشهد متكامل يقوم على التقابل بين المناظر والتنسيق بين الجزئيات، ما يمثله من مشاعر ومعاني، وهذا التصوير وجه من وجوه الإعجاز البياني في سورة البقرة.

- **قال تعالى:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾**.[2]

تبيّن هذه الآية الكريمة الذين يعبدون آلهة من دون الله، لا يسمعون ولا يجيبون، فهي صورة الكافرين تجسد كل مقومات الكفر والمكابرة. والمراد من ذلك هكذا ينعق الكفار بما لا يسمعون، وينادون ما لا يفهم فلا يصل لهم من أصواتهم إلا دعاء مبهم ونداء لا يفهم، فهؤلاء الآلهة لا يميزون بين الأصوات ولا يفهمون مراميها، فالبهيمة ترى وتسمع وتصيح وهم صم بكم عمي.

والتشبيه في هذه الآية الكريمة، هو تشبيه هيأة بهيأة كما تقدم في قوله تعالى "مثلهم كمثل الذي استوقد".

يعتبر التشبيه الذي احتوت عليه الآية، برهان يقذف به المشركون؛ لأنهم جعلوا الأصنام في أعلى مراتب العقلاء لإثبات حقيقة الكفار وتوضيح المعنى وتقريبه للأذهان بصورة محسوسة.

[1] – ابن عاشور، ج 3، ص 50.

[2] – البقرة الآية 171.

قال ابن عاشور: "والمثل هنا لَمَّا أضيف (إلى الذين كفروا) كان ظاهراً في تشبيه حالهم عند سماع دعوة النبي (صلى الله عليه وسلم) إياهم إلى الإسلام بحال الأنعام عند سماع دعوة من ينعق بها في أنهم لا يفهمون إلاّ أن النبي (صلى الله عليه وسلم) يدعوهم إلى متابعته من غير تبصر في دلائل صدقه وصحة دينه، فكلٌّ من الحالة المشبهة والحالة المشبه بها يشتمل على أشياء: داعٍ ومدعو ودعوة، وفَهْم وإعراض وتصميم، وكل من هاته الأشياء التي هي أجزاء التشبيه المركب صالح لأن يكون مشبهاً بجزء من أجزاء المشبه به، وهذا من أبدع التمثيل وقد أوْجَزَتْهُ الآية إيجازاً بديعاً، والمقصود ابتداءً هو تشبيه حال الكفار لا محالة، ويستتبع ذلك تشبيه حال النبي وحال دعوته، وللكفار هنا حالتان: إحداهما حالة الإعراض عن داعي الإسلام، والثانية حالة الإقبال على عبادة الأصنام".[1]

- **قال تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾**[2].

إن أبشع صورة في سورة البقرة هي التي تصور حال بني إسرائيل المليء بالقتل والكفر والعصيان. فقد شبه الله قلوب الكافرين في بعدها عن الحق وتجافيها مع أحكامه بالحجارة القاسية" فهي كالحجارة" القسوة هي وجه الشبه ولأن أشهر الأشياء في هذا الوصف هو الحجر. ثم ترقى في التشبيه فجعل الحجارة أكثر لينا من قلوبهم"وأشد قسوة ". شبه قلوبهم بالحجارة لأن صلابة الحجر اعرف للناس وأشهر لأنها محسوسة لذلك شبها بها .

ويقول في هذا السيوطي" وكأنه ظنّ أن التشبيه واقع في القسوة، وهو غير ظاهر، بل هو واقع بين القلوب والحجارة فهو من الأولّ".[3]

[1]- ابن عاشور، ج 2 ص 111.

[2]- البقرة الآية 74.

[3]- نفس المصدر، جلال الدين السيوطي، ص 507.

قال ابن عاشور: "قوله : "**فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ**" تشبيه فرع بالفاء لإرادة ظهور التشبيه بعد حكاية الحالة المعبر عنها بقست لأن القسوة هي وجه الشبه ولأن أشهر الأشياء في هذا الوصف هو الحجر فإذا ذكرت القسوة فقد تهيأ التشبيه بالحجر ولذا عطف بالفاء أي إذا علمت أنها قاسية فشبهها بالحجارة ".[1]

ولتفصيل أكثر "جاءت الصورة الذهنية المادية عن الحجارة لتبين لنا صورة ذهنية في بنيتنا التصويرية عن قسوة قلوبهم، وتفهمنا الصورة المعنوية ".[2]

مجال المصدر (الحجارة) ⟵ مجال الهدف (قلوب اليهود).

ويقف ابن عاشور عند الوجه الأسلوبي لهذا التشبيه بقوله:"وهذا الأسلوب يسمى عندي التهيئة التشبيه وهو من محاسنه، وإذا تبعت أساليب التشبيه في كلامهم تجدها على ضربين: ضرب لا يهيأ فيه التشبيه وهو الغالب وضرب يهيأ فيه كما هنا والعطف بالفاء في مثله حسن جدا".[3]

تهيأ تشبيه قلوبهم بالحجر لقساوتها وهذا لإثبات أعمال الكفار، وبيان حقائقهم بصورة محسوسة وواضحة.

2- الاستعارة:

تحدث العلماء عن الاستعارة وأطنبوا فيها بذكر أقسامها، وشواهدها المتعددة من القرآن الكريم، فبلغت حدّ الإعجاز فيه، فهي لون من ألوان التصوير التي اتخذها أداةً من الأدوات الفاعلة في التعبير عن المعاني.

1- ابن عاشور ، مرجع سابق ، ج 1 ص 563.

2- أحمد عطية سليمان، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، د، ن، 2014م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، مصر، ص 26.

3- المرجع نفسه، ابن عاشور، ج 1، ص 563.

والاستعارة في سورة البقرة شأنها شأن الاستعارة في القرآن كله، تهدف إلى التعبير عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس، بتصوير بارع ولفظ قليل، له أثره في نفس السامع، وهي طريقة من طرق الإثبات ولها دور بارز في المحاجّة والإقناع.

الاستعارة الحجاجية هي "استعارة تدخل ضمن الوسائل اللغوية يشكلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، فالإستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر انتشارا لإرتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التواصلية والتخاطبية ".[1]

ويعرفها كذلك عبد القاهر الجرجاني في البلاغة العربية يقول " فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدعه أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه ".[2]

وهذا ما يدل أن الاستعارة تقوم " على تمثيل شيء أو فكرة بشيء آخر أو بفكرة أخرى وبين الأول والثاني علاقة قياس ".[3]

- تعددت الاستعارة في سورة البقرة بتنوع أساليبها منها:

- **قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.**[4]

هذا لون من ألوان التخييل، فالصورة في الآية تقوم على استعارة مكنية، فقد شبه الله العهد بالحبل المبرم، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النقض، لأن النقض أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوها لأن في النقض إفسادا لهيأة الحبل و زواله.

[1]- ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص 108.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط1، 1409هـ /1988م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان 53.

[3]- ينظر، جاك موشلر آن ريبول، ص 432.

[4]- البقرة الآية 27.

ويشير ابن عاشور إلى الملامح الأسلوبية في هذه الاستعارة بقوله:"وفي النقض رمز إلى استعارة مكنية لأن النقض من روادف الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكنية وتصريحية وهذه الأخيرة تمثيلية وقد تقرر في علم البيان أن ما يرمز به للمشبه به المطروح في المكنية قد يكون مستعملا في المعنى الحقيقي على طريقة التخييل وذلك حيث لا يكون للمشبه المذكور في صورة مكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المطروح".[1]

-"وهذا من أسرار البلاغة ولطائفها أن يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار، ثم يرمزوا إليه بذكر شيء من روادفه، فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه".[2]

فالصورة في هذه الآية الكريمة خيالية ومحسوسة للقارئ ترسم في ذهنه فيتخيلها ويتأملها ويتذوقها وهذا هو الإعجاز البياني في سورة البقرة.

- **قال تعالى:** ﴿**خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ**﴾.[3] صورة على المنافقين لتشويه وكشف دخائلهم، فألقى الله في قلوبهم الذلة والمهانة.

في هذه الآية استعارة تمثيلية، إسناد الختم إلى القلوب، فقد شبهت قلوبهم في نبوّها عن الحقّ وعدم الإصغاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها وهي قلوب البهائم، وهو تشبيه معقول بمحسوس. وعلى هذا يقول السيوطي"شبهها في ألاّ تقبل الحق بالشيء الموثوق المختوم، ثم أثبت التي هي من خواص العقلاء ".[4]

[1]- ابن عاشور، ج 1، ص 368.

[2]- ينظر، عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص **37.**

[3]- البقرة الآية 7.

[4]- ينظر، جلال الدين السيوطي، ص 513.

فيعلق ابن عاشور على أن الختم والغشاوة هيئة وهمية متخيلة "إطلاق لفظ ختم على وجه التبعية ولفظ الغشاوة على وجه الأصلية وكلتاهما استعارة تحقيقيه إلا أن المشبه محقق عقلا لا حسيا".[1]

الختم مستعمل مجازا إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله، باعتباره دليل واضح ومؤكد لبيان مصير المنافقين.

- **قال تعالى:﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾.**[2]

صبغة الله استعارة تصريحية شبه الدين الإسلامي بالصبغة وحذف المشبه وأبقى المشبه به وقد تشبث بالمعنى واللفظ، فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة.

وقد فصل ابن عاشور في هذا " فإطلاق الصبغة على الإيمان استعارة علاقتها المشابهة وهي مشابهة خفية حسنها قصد المشاكلة، والمشاكلة من المحسنات البديعية ومرجعها إلى الاستعارة وإنما قصد المشاكلة باعث على الاستعارة ".[3]

جاءت هذه الصورة لتأكيد وإقناع بأنه لا أحسن من الله في شأن صبغته.

- **قال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.**[4]

إن صورة أهل الكتاب في سورة البقرة ملونة بحسدهم للمسلمين والسخط على الشريعة الجديدة وكتمانهم الحق الذي عرفوه.

---

[1]- ابن عاشور،ج1، ص 255.

[2]- البقرة الآية 138.

[3]- ابن عاشور، ج 1، ص 744.

[4]- البقرة الآية 174.

فالآية تنهض على استعارة تمثيلية: حيث شبهت الهيئة الحاصلة من أكلهم الرشا بالهيئة المنتزعة من أكلهم النار، لأنها هيئة متخيلة فإن الرشوة لا تؤكل في البطن، كون هيئة المشبه بها غير محسوسة.

أكد ابن عاشور في تفسيره هذا " هو قوله تعالى "**فِي بُطُونِهِمْ**" فإن الرشوة لا تؤكل في البطن فيتعين أن يكون المركب كله استعارة، ولو جعلت الاستعارة في خصوص لفظ النار لكان قوله "**يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ**" مستعملا في مركب حقيقي، وهو لا يصح ".[1]

فهذه الصورة عبرت عن أحوال الكافرين في الدنيا، فالدور الدلالي الذي تقوم به هذه الاستعارة هو محاجّة أهل الكتاب، وتحذير المسلمين مما أحدثه اليهود في دينهم.

- قال تعالى:﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾.[2]

جاء التجسيم في هذه الصورة الفنية التي تعرض مشاهد القيامة بما فيها من مشاهد الحساب والنعيم والثواب والعقاب والعذاب.

فقوله "**وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**" استعارة تمثيلية، حيث قد شبّه هيئتهم عند خيبة أملهم، حال المشركين بحال الساقط من العلو لا ترجى له السلامة، وهي استعارة تمثيلية في غاية الإبداع.

فالهيئة المشبهة تشمل سبعة أشياء على الهيئة المشبهة بها وهي :" تشبيه المشرك في عبادته الأصنام وإتباع دينها بالمرتقى بجامع السعي، وتشبيه العبادة وقبول الآلهة منه بالحبل الموصل، وتشبيه النعيم والثواب بالثمرة في أعلى نخلة لأنها لا يصل لها المرء إلا بعد طول وهو مدة العمر، وتشبيه العمر

[1] – المصدر نفسه، ابن عاشور، ج 2، ص124.

[2] – البقرة الآية، 165 /166.

بالنخلة في الطول، وتشبيه الحرمان من الوصول للنعيم بتقطع الحبل، وتشبيه الخيبة بالبعد عن الثمرة، وتشبيه الوقوع في العذاب بالسقوط المهلك ".[1]

فهذا التركيب الاستعاري اختزل معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، فهي من أبلغ أنواع الاستعارة باعتبارها طريقة من طرق إثبات أن الله قدرته عظيمة بأدلة قوية وواضحة.

3- الكناية:

وسيلة من وسائل الحجاج، وأسلوب من أساليب البيان، وشكل من أشكال التفنن في التعبير لها أثرها الخاص الذي يميزها عن غيرها، فهي تبرز الحقيقة مصحوبة بدليل وتحمل في طياتها برهان شاهد عليها، بالإقناع والإمتاع والتأثير في النفوس.

وقد عرفها أهل البلاغة والبيان عبد القاهر الجرجاني بالقول " الكناية: أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به ويجعله دليلا عليه ".[2] وجاء تعريف الكناية عند السيوطي" لفظ أريد به لازم معناه ".[3]

"كما أنها تحرك الفكر وتبعث النفس على التأمل في المعنى المباشر لظاهر الكلام ثم المروق منه إلى المراد عن طريق العلائق والصلات بين ظاهر الكلام والمعنى الكنائى المراد".[4]

ورد الحجاج بالكناية في سورة البقرة في مواضع كثيرة منها :

---

[1]- ابن عاشور، ج 2، ص 98.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ط1، 1412، مطبعة المدني القاهرة ، ص 66.

[3]- ينظر، جلال الدين السيوطي، ص 516.

[4]- صلاح الدين محمد أحمد، التصوير المجازي والكنائى تحرير وتحليل، ط 1 ، 1408هـ / 1988م، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس، ص 240.

- قال تعالى:﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[1]

فالكناية في ضرب الذلة والمسكنة وهي كناية عن نسبة والمقصود بها إثبات ديمومة الذلة والمسكنة عليهم، فكنى في ضربهم عليهم مبالغة في تشنيعهم. بمعنى كناية عن كون اليهود أذلاء متصاغرين أهل المسكنة ومدقعة.

إن الوجه الأسلوبي من هذه الصورة الكنائية هو المبالغة في تشنيع أخلاق اليهود ذلك " أنهم فقدوا البأس والشجاعة وبدا عليهم سيما الفقر والحاجة مع وفرة ما أنعم الله عليهم فإنهم لما سئموها صارت لديهم كالعدم ولذلك صار الحرص لهم سجية باقية في أعقابهم".[2] وهذه الكناية من صور الجمال، حيث أبدل لفظا مستكرها بلفظ آخر دالّ عليه في ذم اليهود وتصويرها خير أداء وأدق تصوير.

-قال تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[3]

غضب الله عليهم يوم القيامة، لأن بلغت جرأتهم على الله أن يشتروا بعهد الله وإيمانه ثمنا قليلا، فلا يطهرهم من ذنوبهم لشناعة أعمالهم.

قال ابن عاشور:" ومعنى "**وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" غضبه عليهم إذ قد شاع نفي الكلام في الكناية عن الغضب، وشاع استعمال النظر في الإقبال والعناية، ونفي النظر في الغضب فالنظر المنفي هنا نظر خاص. وهاتان الكنايتان يجوز معهما إرادة المعنى الحقيقي ".[4]

1- البقرة الآية 61.

2- ينظر، ابن عاشور، ج 1، ص 528.

3- البقرة الآية 77.

4- ابن عاشور، ج 1، ص 290.

-ومن خلال الدراسة والتحليل استنبطنا أن الوظيفة الحجاجية للصورة البيانية في خطاب السورة عند محمد الطاهر ابن عاشور لها أثرها في حديث القرآن، حيث تؤدي دور التناسق الفني، لتصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية التي ترسمها الآية من أجل إثبات الحقائق وبيان عظمة القرآن ومدى تأثيرها على النفوس بما فيها من المنافقين والمؤمنين والكافرين .

المطلب الثاني: مسالك الصورة (الصورة التشخيصية والساخرة)

لقد اهتم البلاغيون بالصورة البيانية باعتبارها أداة للإعجاز البياني في سورة البقرة ومكونا هاما، وكذلك لا تقل أهمية في دلالتها الإبلاغية، كما تعد أداة القرآن الكريم المتميزة في التعبير والإبلاغ، بما تتمتع به من الجمال اللفظي والمعنوي، التي لها تأثير على المتلقي بشد انتباهه لأنها أقرب إلى الواقع حيث تصوّر دقائق الأمور بكل تفصيلاتها تصويرا حيا، بما فيه من اللمسات الفنية والنفسية والتوجيهية، وذلك عن طريق المشاهد المعروضة والصور الشاخصة لتؤثر في وجدان المتلقي، وتوقظ الإنسان على حقائق الحياة.

وفي سورة البقرة تجلت الكثير من الصور البلاغية التي شكلتها الآيات المختلفة وهذا بفضل تعدد موضوعات السورة التي عبر عنها بصور رائعة، لذلك سنحاول أن نتناول الصور التي ترسمها الآية لبيان الصورة الحجاجية وذلك بتتبع المسالك التي ينتجها المخاطبين.

أ-**الصورة التشخيصية:** لون من ألوان التصوير الفني في القرآن الكريم لها خاصية أسلوبية بالغة الأهمية، تشخص الحالة النفسية والجسدية والعقلية. "فالتشخيص إبراز الجمادات أو المعنويات وغير ذلك من الظواهر بشكل كائن حي من خلال الصورة ".[1]

ويعرف كذلك **سيد قطب:**" بأنه تعبير بالصورة المحسة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، عن نموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ".[2]

[1]- ينظر، عبد الجليل العشراوي، ص 316.

[2]-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط 8، 1975، دار المعارف بمصر، ص 34.

– مثل قوله تعالى رسم الصورة بجرسه: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.[1]

يتمثل رسم الصورة بجرسه في (لأعنتكم) يوحي بالمشقة والصعوبة الشديدة. "أي لو شاء الله لكلفهم ما فيه العنت وهو أن يحرم عليكم مخالطة اليتامى فتجدوا ذلك شاقا عليكم و عنتا".[2]

إن جرس المفردات القرآنية يوحي بمعناها قبل أن يوحي مدلولها اللغوي عليه، فجاءت الصورة في هذه الآية الكريمة لتصوير الحالة المعنوية للمفسد والمصلح، في كيفية التصرف بأموال اليتامى لإرضاء الله تعالى لا إرضاء المخلوقات فلذلك لم يكلفهم الله تعالى لأن فيه مشقة وصعوبة.

يعتبر هذا دليلا لإثبات قدرة الله تعالى، إن الله عزيز غالب قادر، وحكيم يضع الأشياء في مواضعها. فالصورة في هذه الآية أخذت بعدا جماليا لبيان عظمة الخالق وتوضيح ذلك للمسلمين بأنه لو شاء لكلفهم بذلك. إذن الصورة قوية و موحية، وهذا لون من التناسق في التصوير، في رسم صورة فنية شاخصة متناسقة.

– وكذلك تمثل جرس اللفظ في هذه الآية الكريمة قوله تعالى:﴿ **فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾.[3]

تصوير الحالة النفسية للذين يتبعون خطوات الشيطان، لأن فيها ضرر ووسوسة للمسلمين، يتمثل في نهي عن السلم، من بعد ما جاءهم من البينات دالة على صدق الرسول، بأن الله عزيز حكيم يضع الأمور في مواضعها.

[1] – البقرة الآية 220.

[2] – ابن عاشور، ج 2، ص 358.

[3] – البقرة الآية 209.

وقوله " **فَإِنْ زَلَلْتُمْ**" الأصل في الزلل الزلق أي اضطراب القدم وتحركها في الموضع المقصود إثباتها به، واستعمل الزلل هنا مجازا في الضر الناشئ عن إتباع الشيطان من بناء التمثيل على التمثيل..." [1]

فالصورة هنا تمثيل الزلل بالرجل في المشي في الطريقة المزلقة، وذلك بأنه إتباع ما يأمر به الشيطان هو بمنزلة الطريق المزلقة، والتمثيل هنا جاء مجازا.

والغرض من هذه الصورة هو إبراز وتوضيح الحالة بدقة وبأسلوب بليغ، بما تتمتع به من الجمال اللفظي الذي له تأثير على المتلقي، وهذا وجه من وجوه الإعجاز البياني.

من ألفاظ القرآن ما يرسم صورة بظله في الخيال ومثال ذلك: قال تعالى: ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ**﴾. [2]

استخدام مفردة " **يُذَبِّحُونَ** " بتشديد أولا لتهويل الحال، وثانيا لبيان كثرة العذاب، وثالثا إبراز نوعية ذلك العذاب. وهذه من لمسات التصوير في القرآن الكريم لفظة توحي بمعاني كثيرة لإثبات الحقائق.

فالتشخيص هنا يقول ابن عاشور: "وسوء العذاب أشدّه وأفظعه وهو عذاب التسخير والإرهاق وتسليط العقاب الشديد بتذبيح الأبناء ويستحيون نساء قومكم الأولين".[3] فالصورة في هذه الآية ترسم حال المخاطبين من آل فرعون، في بيان أحوال سوء العذاب وتذبيح الأبناء، تعتبر صورة خيالية تمثيلية لتهويل أحوالهم، بدقة وإحكام في التصوير.

– قال تعالى: ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾. [4]

---

[1] – المصدر نفسه، ابن عاشور، ج 2، ص 279.

[2] – البقرة الآية 49.

[3] – ابن عاشور، ج 1، ص 492.

[4] – البقرة الآية 256.

تصور الآية حالة الإيمان المنافية للكفر، وتمثلها بحالة التمسك بالعروة الوثقى. فيحظر هنا التشخيص في معنى الإيمان والثبات عليه، في صورة حسية تثير انفعالات المتلقي في الذهن وتقويها وتجعلها مرتكزة.

قال ابن عاشور:" والاستمساك بالعروة الوثقى تمثيلي، شبهت هيأة المؤمن فيثباته على الإيمان بهيأة من أمسك بعروة وثقى من حبل وهو راكب على صعب أو سفينة في هول البحر، وهي هيأة معقولة شبهت بهيأة محسوسة، ولذلك قال في الكشاف" وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر للمشاهد".[1]

للصورة وظيفة حجاجية قال عبد الجليل العشراوي "إن الصور من هذا النوع تتخذ وظيفة حجاجية أكثر من غيرها، وفي جانبها الحجاجي يجب ألا تفهم هذه الوظيفة فقط في معناها الاستدلالي العقلي المحض، بل تؤخذ بعين الاعتبار الوظيفة النفسية، أي ذلك الأثر الذي يتركه "المجاز" بمعناه الواضح في النفس، فيجعل المخاطب منخرطا في ما يدّعيه الخطاب المجازي من الدعوى".[2]

ب-الصورة الساخرة: نجد أن للقرآن طريقة متميزة وفريدة من نوعها في التصوير لإبراز الوظيفة الحجاجية، وعادة ما نجد هذا النوع من التصوير في الآيات التي تتضمن الوعد والوعيد، والتحذير، والتخويف، والاستهزاء... الخ.

وجاء تعريف السخرية وهي" طريقة في التهكّم المرير والتّندر أو الهجاء الذي يطغى فيه المعنى بعكس ما يظنّه الإنسان وربّما كانت أعظم صور البلاغة عنفا وإخافة وفتكا ".[3]

والسخرية في الحقيقة "تعني القهر والتّذليل وإخضاع الآخر، فهي مرادفة للشّعور بالأفضلية والنّظر للآخر نظرة دونية".[4]

---

[1]- ابن عاشور، ج 1، ص 29.

[2]- ينظر، عبد الجليل العشراوي، ص 326.

[3]- نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد، عمان، الأردن، ط 1، 1433هـ / 2012م، ص 16.

[4]- سمية مشتوب، السّخرية وتجلّياتها الدلالية في القصّة الجزائرية المعاصرة، شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو ،2011 ، ص 78.

قال تعالى:﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.[1]

تتمثل السخرية في هذه الآية بمجاز الصورة، تمثيل صورة آكل الربا بعرض ساخر حركاته الجسمية من خلال اضطراباته النفسية، وهي حقيقة قيام آكل الربا في تشبيه حاله مثل المجنون ذي حركات مضطربة، لأن الطمع يستفزه حتى يصبح قويا وسريع الحركة لي أن يملك شيئا.

قال ابن عاشور: "فالآية على المعنى الحقيقي وعيد لهم بابتداء تعذيبهم من وقت القيام للحساب إلى أن يدخلوا النار، وهذا هو الظاهر وهو المناسب لقوله "ذلك بأنّهم قالوا إنّما البيع مثل الربا" وهي على المعنى المجازي تشنيع، أو توعّد بسوء الحال في الدنيا ولقي المتاعب ومرارة الحياة تحت صورة يخالها الرائي مستقيمة".[2]

– قال تعالى:﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.[3]

في هذه الآية الكريمة سخرية وهي استهزاء بأحكام الله التي شرع فيها حق المراجعة أريد بها رحمة للناس، فيجب الحذر من جعل آيات الله هزءا.

قال ابن عاشور: "والهزء بضمتين، مصدر هزأ إذا سخر ولعب، وهو هنا مصدر بمعنى اسم المفعول أي لا تتخذوها مستهزأ به، ولما كان المخاطب بهذا المؤمنين، وقد علم أنهم لم يكونوا بالذين يستهزئون بالآيات، تعين أن الهزء مراد بهم مجازه وهو الاستخفاف. وعدم الرعاية، لأن المستخف بالشيء المهم بعد لاستخفافه به، مع العلم بأهميته، كالساخر واللاعب".[4]

---

[1]– البقرة الآية 275.

[2]– ابن عاشور، ج 3، ص 82/81.

[3]– البقرة الآية 231.

[4]– ابن عاشور، ج 2، ص424.

- قال تعالى:﴿ **وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾.[1]

وتتمثل السخرية في هذه الآية قوله" **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ**" قصروا أنفسهم على الاستهزاء فقد أظهروا وجه آخر للمؤمنين وجاءوا بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم فيهم.

" **اللّهُ يَسْتَهْزِئُ** " أن الله تعالى يجازيهم على استهزائهم وسخريتهم بالعقاب والعذاب.

فصل ابن عاشور في هذا:" والاستهزاء: السخرية يقال هزأ به واستهزأ به فالسين والتاء للتأكيد مثل استجاب، أى عامله فعلا أو قولا يحصل به احتقاره أو والتطرية به، سواء أشعره بذلك أم أخفاء عنه".[2]

وما لاحظناه أن التصوير في القرآن الكريم قوي التأثير وبالغ الحجة للكشف عن الحقائق وإثبات الدلائل بصورة حيّة، وناطقة، ومعبرة، فهو بذلك يعد أسلوب من أساليب الإعجاز البياني والقاعدة الأساسية في التعبير القرآني لتحقيق جميع الأغراض الفنية والنفسية والاجتماعية في آن واحد، فالدور الذي تؤديه الصورة هو الإقناع والتأثير في المتلقي.

[1] – البقرة الآية 14 /15.

[2] – ابن عاشور، ج 1، ص 293/292 .

خاتمة

خاتمة

خلاصة ما جاء في هذا البحث هو الكشف عن الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني بالاعتماد على مدونة التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور في سورة البقرة، حيث تناولنا فيه أهم قضايا التداولية وهو نظرية الحجاج في مستويين: المستوى اللساني التداولي، والمستوى البلاغي الصوري. وقد تم التوصل إلى مجموعة من النتائج التالية:

– لمصطلح الحجاج مفهوم واسع و متشعب، تنوعت دلالاته عبر مساره التاريخي، ويعتبر من أبرز مواضيع التداولية، وقد عرفته الكثير من الدارسات العربية والغربية، القديمة والحديثة ومنهم: طه عبد الرحمن، وحمادي صمود، وبيرلمان وتيتيكا، وتولمين وغيرهم حتى أصبحت نظرية مستقلة بذاتها.

– يعود فضل ظهور الحجاج إلى المدارس اللسانية الغربية والعربية التي اهتمت به وأسهمت في تطويره، إلى أن شبّ وغدا نظرية لها مدارسها و روادها.

– الأفعال الكلامية في الدرس الغربي اللساني تعد النواة المركزية للتداولية التي اهتمت بالبعد التداولي للحجاج، ويعتبر الفعل الكلامي الإنجازي الركيزة الأساسية لهذه النظرية عند سورل.

– تخضع نظرية الأفعال الكلامية لتحقيق الأغراض الإنجازية بين المتخاطبين لتحديد مقاصد الكلام فهو بذلك يعد نشاطا لغويا له علاقة بالفعل الحجاجي باعتباره الفعل المتضمن في القول والأداة الفاعلة تهدف إلى التأثير لإنجاز شيء معين (الإخباريات، والتوجيهات، والإعلانيات، والتعبيريات، والالتزاميات) حسب تصنيف سورل.

– تناول محمد الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير وفي سورة البقرة على وجه الخصوص نظرية الأفعال الكلامية دون تسميتها للكشف عن البعد التداولي في الخطاب القرآني، فقد اعتمد على التحليل اللغوي البلاغي لمعالجة أهم قضايا التداولية.

– ظهرت الأفعال الكلامية في خطاب سورة البقرة نظرا لتنوع الأساليب وتنوع المخاطبين فيها واختلفت حسب قوتها الإنجازية لتأكيد وإثبات أحوال المخاطبين ولتحديد المقاصد في الخطاب القرآني، فأكثر الأفعال الكلامية التي طغت على هذه السورة (الأفعال الإخبارية، والتوجيهية).لتحقيق غايات الخطاب القرآني في السورة.

– تعد الوسائل اللسانية من الوظائف الحجاجية التي تعتمد على الإيجاز في بلاغة القرآن لإقناع المتلقي وإثبات الدليل ومنها: الاحتباك، والاقتضاء، والاختزال، والاكتفاء وهي من أنواع الحذف التي خصصت به الدراسة.

– تعددت الوسائل اللسانية في خطاب سورة البقرة، وهذا بالرجوع إلى تفسير ابن عاشور لبيان هذه الأنواع وإبراز الوظيفة التي تؤديها، والتي تميزت بطابع حجاجي لغويا بامتياز.

– تعتبر الصورة البيانية بمختلف وسائلها من تشبيه واستعارة وكناية أعلى مستويات التأثير في المتلقي لما لها من قوة في إبراز وبيان المعاني لتقريب الحقائق وتجسيدها للمتلقي فبذلك تملك طاقة حجاجية نظرا لتنوعها بتنوع مخاطبيها من أجل إثبات الحقائق وبيان عظمة القرآن ومدى تأثيرها على النفوس بما فيها من المؤمنين والكافرين والمنافقين.

– تحتل الصورة الفنية القرآنية مكانة مهمة في البلاغة العربية وتعد أسلوب من أساليب الإعجاز البياني في صور حيّة، وناطقة، ومعبرة، لتأثير في المتلقي، وتعتبر القاعدة الأساسية في التعبير القرآني بتنوع دلالاته في صورة تشخيصيةوساخرة من أجل تحقيق جميع الأغرض التي سعت إليها.
– ألوان التصوير في سورة البقرة تكشف عن وجه من وجوه الإعجاز البياني، كما تكشف في نفس الوقت أن أسلوب التصوير، هو من أبرز الأساليب لبيان الوظيفة الحجاجية من خلال مقاصد الخطاب القرآني.

– الخطاب القرآني كلام حجاجي في مجمله دون نفي وظائفه، موجه للتأثير في آراء المخاطبين واستمالة العقول والنفوس، على أن الإقناع هو المبدأ الأساس في الحوار ووسيلة تواصل بين عدة أطراف، وذلك بالتأكيد والإثبات والتقرير لتحقيق الغايات.

وفي الأخير بتتبعنا لمستويات الحجاج في الخطاب القرآني في مختلف مستوياته اللسانية والبلاغية، ورَصْدنا للوظيفة الحجاجية، ذلك بالوقوف على مدونة محمد الطاهر ابن عاشور يعتبر مؤشرا قويا لفهم كتاب الله العزيز وكتب التفسير، تساعد على فك معاني النص القرآني والغوص في الدراسات القرآنية.

فهرس الآيات

الآية	رقمها
﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	6
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	8
﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾	33
﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾	40
﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾	48
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾	258
﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	41
﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	39-38
﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾	20-19
﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	137
﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾	145
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ	164

بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	213
﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾	70
:﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	230
﴿*وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ...*﴾	171
﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُم وَلاَ تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	134
﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِّبَواْ وَيُرْبِى الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	276
:﴿*وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ*﴾	251
﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾	124
﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فأولئك هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	121
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾	139
﴿فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾	152
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ	264

رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾	
:﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	265
﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	74
﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	27
﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾	138
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	174
﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾	166-165
﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾	61
﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاء اللّهُ لأعْنَتَكُمْ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	220
﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	209
﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾	49
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾	256
﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ	275

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾	
﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	231
:﴿ *وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ* ﴾	15-14

فـــــــهرس الموضوعـــات:

الموضوع	الصفحة
مقدمة	**أ–هـ**
تـمهيد	**7-6**
المبحث الأول: مـفهوم الحجاج	
المطلب الأول: الحجـاج لغة واصطلاحا	
أولا: الحجاج لغة في المعاجم العربية	**11-8**
ثانيا: الحجاج اصطلاحا في الدرس العربي القديم والحديث	**14-12**
ثالثا: الحجاج اصطلاحا في الدرس الغربي القديم والحديث	**21-15**
المطلب الثاني: تـاريخ الحجاج ومدارسه	
أولا: تاريخ الحجاج	**23-22**
ثانيا: مدارس الحجاج	**28-23**
المبحث الثاني: المـستوى اللساني التداولي	
المطلب الأول: الأفعـال الكلامية (سـورة البقرة)	
أولا: الأفعال الإخبارية	**32-29**
ثانيا: الأفعال التوجيهية	**37-32**
ثالثا: الأفعال الإلتزامية	**41-37**
رابعا: الأفعال التعبيرية	**46-41**
خامسا: الأفعال الإعلانية	**47-46**
خلاصة المطلب	**48-47**
المطلب الثاني: الـوسائل اللسانية في خطاب السورة	
أولا: الحجاج بالاختزال	**51-49**
ثانيا: الاحتباك	**54-51**
ثالثا: الاكتفاء	**56-54**
رابعا: الاقتضاء	**57-56**

خلاصة المطلب 57

المبحث الثالث: المستوى الصوري البلاغي

المطلب الأول: بناء الصورة البلاغية

أولا: التشبيه **62–58**

ثانيا: الاستعارة **67–62**

ثالثا: الكناية **69–67**

خلاصة المطلب **69**

المطلب الثاني: مسالك الصورة

أولا: الصورة التشخيصية **72–69**

ثانيا: الصورة الساخرة **74–72**

خلاصة المطلب **74**

الخاتمة **76–75**

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. ابن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، ط1 ، 1403هـ/ 1983م، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
2. أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، ط3،2000م، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان .
3. أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ج 2 ، د ت ، دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت.
4. أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح: علي محمد البجاوي وأبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت، 1986م.
5. أبوبكر العزاوي، اللغة والحجاج، ط1، 1426هـ/2006م ، درب سيدنا الدار البيضاء.
6. أحمد عطية سليمان، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، د، ن، 2014م، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي القاهرة، مصر.
7. باتريك شار ودو، الحجاج بين النظرية والأسلوب عن كتاب (نحو المعنى والمبنى)، ط1 2009 إفريقي، دار الكتاب الجديدة المتحدة.
8. بدوى طبانه، البيان العربي، دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربيّة، ط2، 1377هـ/ 1958م، مكتبة الأنجلو المصرية.
9. جاك موشلر آن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ط1 ،1002، دار سيناترا، تونس.
10. جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ط1، 1429هـ / 2008م، مؤسسة الرسالة ناشرون بيروت، لبنان.
11. جمال الدين أبي الفضل محمد ابن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب ط، ج،1430هـ/ 2009م، المجلد الثاني ت-ث-ج-ح، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
12. جميل حمداوي ، نظرية الحجاج، د ط، شبكة الألوكة، دار النشر المغرب.
13. حافظ إسماعيل علوي، الحجاج مدارس وإعلام، الجزء الثاني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1 ، 2010.

14. حافظ إسماعيلي العلوي، الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج 1، ط1431،1هـ/2010م، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن.
15. حمادي صمود، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (فريق البحث في البلاغة و الحجاج)، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، تونس .
16. حمو النّقاّري، التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، ط1، 1427هـ/2006م دار البيضاء منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط .
17. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ط1، 2009، بيت الحكمة للنشر والتوزيع ،جامعة سطيف الجزائر .
18. الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، الجزء الأول ابب، غيي، ط1، 1419هـ/1998م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان .
19. سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، ط 8 ، 1975، دار المعارف بمصر.
20. صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل والنصوص، ط1، 2008م، صفحات للدراسات والنشر سورية، دمشق.
21. صلاح الدين محمد أحمد، التصوير المجازي والكنائى تحرير وتحليل، ط 1، 1408هـ / 1988م، مكتبة سعيد رأفت، جامعة عين شمس.
22. عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية دراسة في نتاج ابن باديس الأدبي، ط1، 2014، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن .
23. عبد الجليل العشراوي، آليات الحجاج القرآني، دراسة في نصوص الترغيب والترهيب، ط 1 2016 ، عالم الكتب الحديث اربد– الأردن .
24. عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،ط1، 2006، إفريقيا الشرق المغرب.
25. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط1، 1409هـ /1988م، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
26. عبد الهادي بن ضافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية،ط1،2004 إفرنجي، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان.

27. عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ط1، 2001، دار الفارابي بيروت، لبنان .
28. الفيروز الآبادي الشيرازي الشافعي، القاموس المحيط، ط،ج1 لونان، 1415هـ/1995م،دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
29. فيليب بروتون جيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ط1، 1432هـ/ 2011م، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جدة، مركز النشر العلمي.
30. قدور عمران، البعد التداولي و الحجاجي في الخطاب القرآني موجه إلى بني إسرائيل، ط1، 2012 ، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن .
31. محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج 3، الطبعة دار التونسية للنشر 1984م.
32. محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، ط2، 2002،إفريقيا الشرق، بيروت لبنان.
33.محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 3، دار المعرفة، بيروت، 1972.
34. محمد سالم الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصر، ط1، 2008، إفريجي، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان .
35. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط 1، 2006، الدار المعرفية الجامعية، الإسكندرية.
36. مسعود صحراوي، التداوليّة عند العلماء العرب، (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللّساني العربي)، ط 1، 2005 ، لدار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
37. مؤيد آل صونيت، الحجاج تصورات وتقنيات، كلية الآداب جامعة مستنصرية، د ط، د ن.
38. نزار عبد الله خليل الضمور، السخرية والفكاهة في النثر العباسي، دار حامد، عمان، الأردن، ط 1 ، 1433هـ / 2012م.

قائمة ومصادر والمـــراجع باللغة الأجنبية:

39.O,Ducrot, les échrelles argumentatatives , édition de minuit , Paris , 1980.
40.Perlma et tyteca ,traite de l'argumentation , édition de l'université de Bruxelles, 5 émé édition , 1992.

المـــجلات:

– أحمد فتحي رمضان، و عدنان عبد السلام اسعد، الاحتباك في القرآن الكريم رؤية بلاغية، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، م 4 ، ع 2 ، جامعة الموصل / كلية الآداب.

– الحواس المسعودي البنية الحجاجية في القران الكريم، سورة النمل نمودجا، مجلة اللغة و الأدب، عدد 12 ، ديسمبر 1997 ، جامعة الجزائر.

الرســـائل الجامعية:

– إبراهيم علي الجعيد، خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالتها البلاغية في التفسير التحرير والتنوير، رسالة دكتوراه ، مملكة العربية السعودية أم القرى، 1419هـ/1999م .

– سمية مشتوب، السّخرية وتجلّياتها الدلالية في القصّة الجزائرية المعاصرة، شهادة الماجستير، جامعة تيزي وزو ،2011 .

– محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم سورة البقرة (دراسة تداولية)، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة، 2013.